التذوق الفني والجمالي للوحدة في القرآن الكريم

أ.م.د.هاني الحسني
جامعة بغداد- كلية الفنون الجميلة

المبحث الأول

مقدمة:

تعد عمليه التذوق أمرا ملازما للعمل الفني ، وعند القياس والحكم عليه ، فأننا نرجع إلى مستوى الجمال والرؤى والأفكار التي يحملها .وأن التحدث عن عملية التذوق الفني والجمالي ومحاولة فلسفتهما ليس بالأمر الجديد في تأريخ الفكر الإنساني ، بل انه قد عولج هذين الأمرين وفقا لارتباطهما بالطبيعة الفكرية والروحية للإنسان وبالبيئة المحيطة به . وهكذا كان نزول الوحي على النبي العربي الكريم ، المتمثل بالقران الكريم ، وبالرسالة الالهيه والشريعة الإسلامية الواضحة في النصوص القرانية ، يحتاج إلى وقفة تأمل حضارية كبيرة عبر رؤية جمالية وتذوق فني معاصر ، لما أراده الله (سبحانه وتعالى) لنبيه الكريم وللعرب وللإنسانية جمعاء. فأذا ماتأملنا النص القرآني عند قراءته فأنه يثير المتعة والبهجة في النفس الإنسانية ، ويجعل الإنسان يتلوه تلاوة إيقاعية ، حيث يكمن جمال القران في بنائه الشكلي والبلاغي ومحتواه التعبيري ، فهو كلام الله (جل جلاله) ، لذلك يتوجب على القارئ أن يظهر الخصائص الجمالية بجميع مظاهرها المتنوعة فيه ، من خلال حسن تلاوته وتذوقه العام له وفهمه العميق لاياته الحكيمة ، بما يناسب قدسيته وجماله وجلاله ، فيوصينا الباري (عز وجل) عند قراءتنا للقران الكريم أن نرتله ترتيلا ، لقوله تعالى (ورتل القران ترتيلا) (المزمل/ 4) .والمتتبع لقراءة ايات الذكر الحكيم والمتمعن في معانيها ومضامينها ، يجد نفسه عندما يختم القران الكريم ، بأنه في شوق للبدء بتلاوة جديدة ، فياترى لماذا يحدث هذا الشيء؟ فبالإضافة إلى المتعة الروحية والبهجة النفسية التي يحصل عليها القارئ من خلال قراءته لآيات الذكر الحكيم ، فأن كلامه تعالى يبث البركة في الروح والنفس الإنسانية فيجعلها تسمو فوق ماديات الحياة الدنيا وتلتجئ إلى خالقها وبارئها لتستفيض من الفيض الإلهي العظيم ، وعند الاستغراق في معاني هذه الآيات وفي محتواها الروحي والديني وبنائها البلاغي والجمالي فسيجد القارئ مجموعة من أسس وقواعد التكوين الفني ذات الحبكة المنظمة تنظيما دقيقا والمرتبة بصورة محكمة تثير الدهشة والإعجاب وتقوده إلى معاني ومضامين لابد له أن يتذوقها ليصل إلى ما تصبو أليه هذه الأيات من مفاهيم جمالية . ومن هذا المنطلق يتطرق البحث إلى مفهوم التذوق الفني والجمالي في النصوص القرآنية ، حيث يبرز الجمال في المفهوم القرآني من جوانب عديدة ، ويتجلى في كل ركن من أركان القرآن.

تناولت دراسات عديدة سابقة المعاني الدينية والتفسيرات الروحية للآيات القرآنية من نظرة دينية بحته ، ولم يلتفتوا إلى أنه بالإمكان تناولها من خلال رؤية تذوقي(فنية جمالية)حديثة ، الأمر الذي جعل الباحث يقوم بهذا البحث ليكمل ما أفتقدته المكتبة من بحوث تعني بالقرآن الكريم وتتذوق آياته من خلال ما يتجلى فيها من انسجام وتناغم وتوازن ووحدة وسمات ومظاهر جمالية يشعر بها الوجدان قبل أن تدركها العقول،بما يثير قدسيتنا وتقديرنا العالي لكلمات الله التامات التي تؤسر الإنسان بكل جوارحه لكمال معانيها وتمام لغتها،وهذا الذي يحدث هو ما نسميه(بالتذوق الفني والجمالي) للقران الكريم.

أن التذوق الفني والجمالي يفهم كعنوان على انه يمكن أن يتم من خلال تذوقنا لهذين الشقين(الفني والجمالي) فالأول يعني مدى إحساسنا وإدراكنا لأسس وقواعد التكوين الفني في النصوص القرانية مثل(السيادة والوحدة والتنوع والتناسق والتباين والتوازن والإيقاع والتكرار والإتقان)،بعدها سمات فنية اتصفت بها الايات القرانية.والثاني يعني تقيمنا للمفاهيم الجمالية التي يتعرض لها القران الكريم من خلال هذه الأسس والقواعد المذكورة.

ومن هنا تظهر أهمية البحث في التعرف على التعرف الفني لأهم السمات الجمالية والأسس والقواعد الفنية لأيات الذكر الحكيم ، والتعرف على التذوق الجمالي للمفاهيم النابعة منها، بناء على المفهوم القراني أتجاه وحدة الخالق والذات الإلهية ووحدة الإنسان ووحدة العقيدة . ومن بين هذه الأسس والقواعد الفنية المهمة ، يحدد الباحث حدود بحثه العلمية والفنية (بسمة الوحدة) كونها تمثل واحدة من أهم هذه السمات الفنية التي تفصح عنها الايات القرانية ،كسمة جمالية يمكننا من خلالها أن ندرك معاني ومضامين المفاهيم الجمالية النابعة عنها .

تحديد المصطلحات:

1 . الوحدة : Unite ، Unity

يذكر ابن منظور عن الوحدة ، أن أبن سيده قال (وحدة الشيء توحده)**(16 :ص62)**.

ويذكر مراد وهبه بأن الوحدة لها ثلاثة مفاهيم ، وتعني: **1-** عدم الانقسام . **2–** هي صفه لما هو واحد مثل وحدة الله ، وحدة الأنا ، الوحدة الدينية ، الوحدة الاجتماعية. **3** – وهي جزء من كل ، كما في الرياضيات حيث العدد الصحيح يتكون من الجمع المضطرد للواحد مع الواحد.**(83:ص 734)** . ووردت في المعجم الفلسفي على أن(الوحده ضد الكثرة، لأنها كون الشيء بحيث لا ينقسم،والكثره بحيث ينقسم،وتطلق الوحده على كل ما يطلق عليه الواحد لأنها صفه له،وتطلق على الموجود الواحد من جهة ماهومبدأ كل وجود) **(47:ص567_568)**. وعرف بعض المختصين والفلاسفة الوحدة ، على أنها : (صفة الكمال أو اكتمال الذات ووحدانيتها ، صفة الواحد الأكمل أي الله)(**53:ص22**) . (وان الجمال هو الوحده ولان الوحده صفة

الله،فالجمال أوالكمال من صفاته)(المصدر السابق).ويقول هيغل عن الوحده والجمال،بان الجمال(مظهرالله علىالأرض،والوحدة صفة الجمال،والجمال هوالله)(المصدر السابق).

أما الوحده في العمل الفني ،فيذكر(هربرت ريد)،بانها من السمات الجمالية الأساس فيه ، وان الأجزاء والعناصر الفنية(تتضامن جميعا لكي تخلق وحده يصبح لها من القيمه ماهو اعظم من مجرد مجموع تلك العناصر)(**38:ص37**).

والوحدة عند الكندي هي ما يسود هذا الكون في أجزائه،وعلتها هي في الواحد الحق الأول، والله هو الواحد الحق وهو الأول المبدع الممسك ما أبدع(**71:ص76**) .

ويعرف الفارابي الوحدة بأنها صفة الواحد الأكمل أي الله ، والوحدة من الكمال والكمال والجمال من صفات الله(**62:ص23**) .

2.الجمال:

<u>الجمال ، الجميل</u>: باللغة الإنكليزية(**Beauty،Beautiful**)(**47 :ص407**) .

يعرف ابن منظور الجمال ، بأنه الحسن ، ويكون في الفعل والخلق ، والجمال مصدر الجميل والفعل جمل وجمله أي زينه .

ويقول ابن الأثير،الجمال يقع على الصور والمعاني .

ويذكر الحديث النبوي الشريف(أن الله جميل يحب الجمال)أي حسن الأفعال كامل الأوصاف **(16:ص121)**.

ويرى التهانوي ، أن الجمال في اللغة يعني (الحسن ، وحسن الصورة والسيرة ، والجمال يطلق على معنيين ، أحدهما : الجمال الذي يعرفه كل الجمهور مثل صفاء اللون ولين الملمس، وثانيهما : الجمال الحقيقي ، وهو أن يكون كل عضو من الأعضاء على افضل ما ينبغي ان يكون عليه من الهيئات والمزاج (**28:ص348**).

ووردت كلمة الجمال (الجميل) في المعجم الفلسفي على إن الجمال (مرادف للحسن ، وهو تناسب الأعضاء، واكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر . وكمال الحسن في الشعر ، والصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة والجمال في الأنف والملاحة في الفم ، والحلاوة في العينين ، والظرف في اللسان ،والرشاقة في الخد واللياقة في الشمائل ، والتوازن في الأشكال ، والانسجام في الحركات والجميل هو الكائن على وجه يميل إليه الطبع ، وتقبله النفس)(**47:ص407_408**) .

ويعرف الفارابي الجمال بقوله(الجمال والبهاء والزينة في كل موجود هو أن يوجد وجوده الأفضل ، ويحصل له كماله الأخير)(**62:ص52**) .ويعرف الجميل بقوله (الجميل هو الشيء الذي يستحسنه العقلاء) (**22:ص186**) .

وعرف الغزالي الجمال بقوله(كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال ، وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر)(**54:ص299**) .

ويقول عمانوئيل كنت عن الجمال : بأنه (هو ما يبعث في النفس الرضا ، دون تصور أي ما يحدث في النفس عاطفة خاصة تسمى بعاطفة الجمال)(**47:ص407**) .

الجمال (كعلم): **Esthetique ، Aesthetics** .

ويذكر مراد وهبي ان (أول من وضع هذا الاصطلاح هو بومجارتن(**Baumgarten**) وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية (**Aesthetics**)(**83:ص260**).وتعني الإدراك الحسي ثم أطلقت على الإدراك الخاص بشعور الجمال كما نراه في الطبيعة وايات الفنون)(**المصدر السابق**).

واستخدمه كانت (بمعنى الإحساس فيقال الحساسية الترنستدنتالية)(**المصدر السابق**) .

وورد هذا المصطلح في المعجم الفلسفي لجميل صليبا ، على انه (علم يبحث في شروط الجمال ومقاييسه ونظرياته ، وفي التذوق الفني وفي أحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية ، وهو باب من الفلسفة)(**47:ص408**).

وينقسم هذا العلم إلى قسمين :

الأول: قسم نظري عام ، يبحث في الصفات التي تولد الشعور بالجمال ، فيحلل هذا الشعور تحليلا نفسيا،ويفسر طبيعة الجمال تفسيرا فلسفيا،وهو علم معياري(**Normatif**) كالمنطق والأخلاق ، وهو يحدد القوانين التي تميز بين الجميل والقبيح .

الثاني: قسم عملي خاص ، يبحث في صور الفن المتنوعة وينقد نماذجه ، ويطلق على هذا القسم أسم النقد الفني ، وهو لايقوم على التذوق وحده ، بل يقوم على العقل أيضا في إصدار أحكامه ومقاييسه (**المصدر السابق**) .

الجمال في القرآن الكريم :

جاءت لفظة جمال في موضع واحد،لتشير إلى الجمال الصوري الظاهري،قال تعالى(ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)(النمل/ **6**).وأما لفظة (جميل) فقد جاءت في ثلاثة مواضع ، لتشير إلى جمال الأخلاق والمعاني النبيلة،قال تعالى(قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل، عسى الله أن يأتيني بهم أجمعين)(يوسف/ **3 8**) وقال تعالى(وان الساعة لأتية فاصفح الصفح الجميل)(الحجر/ **85**).كما جاءت لفظة (جميلا)في أربعة مواضع في القران الكريم،لتدل على الجمال المعنوي المقترن بالأخلاق والأفعال،قال تعالى(فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا)(الأحزاب/ **28**) ، وقال تعالى(فمتعوهن وسرحوهن سراحا

جميلا)(الأحزاب/**49**)،وقال تعالى(فاصبر صبرا جميلا)(المعارج/**5**) وقال تعالى(واصبرعلىما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)(المزمل **10**) .

3.التذوق الفني والجمالي:

التذوق بمعناه الخاص نابع من كلمة (ذوق_**Taste**) ،ووردت هذه الكلمة في القاموس العصري بأنها تعني، حاسة الذوق ، طعم ، ومن ذاق ، يذوق ، ذق(**80:ص593**).وتعني عند(**Hornby**)بأنها(القدرة على الاستمتاع بالجميل)(**86:P.1033**) .

ووردت في المعجم الفلسفي ، بمعنى الذوق على أنها(ملكة الحكم على الأعمال الفنية عن طريق الإحساس المباشر والتجربة الشخصية دون التقيد بقواعد معينة ، وتتدخل في هذا الحكم ميول المتذوق الخاصة)(**75:ص89**) .

وأما كلمة(التذوق_**Appreciation**)فقد جاءت في القاموس العصري على أنها(معرفة ، قدر، أو قيمة شئ ، أعتبار ، إعجاب)(**80:ص34**) .وجاءت عند(**Hornby**) أيضا وتعني (حكم، تقييم ،معرفه القيمه (أوراك القيمه، إعطاء القيمه للشي ،تقديره)(**41. p :86**).

ووردت في المعجم الفلسفي، بمعنى التقدير، وأنها تعني (عمل ذهني ينصب على بيان قيمه فكره أو شي ويصحبه دائما حكم على مدى وصول الفكره أو شي إلى درجه من الكمال في الخير أو في الجمال أو الحق ، وتقابل التقدير ، الوصف والتفسير)(**75:ص86**).

وجاءت كلمة(التذوق)عند بعض الباحثين مثل(محمود البسيوني)على إنها(نمو حساسية الفرد بحيث يستطيع ان يستجيب لانواع مختلفه من العلاقات)(**26:ص228**).

وعرفها(عبد العزيز صالح)على أنها(حالة أستمتاع تحت الشعور يغلب فيها الطابع الوجداني ، فهو تفاعل ضمني بين الشئ الجميل والمرء المستمتع به)(**46:ص356**) .

وعرف مصطلح(التذوق الفني)عند بعض الباحثين على أنه(فعل استقبال جمالي لمعطيات العمل الفني في وعي المتذوق،يؤدي إلى استمتاع ولذة جمالية وأكتفاء) (**33:ص9**). ويعني أيضا(نمط مركب من السلوك يتطلب في جوهره إصدار أحكام على قيمة شئ أو فكرة أو موضوع من الناحية الجمالية)(**17:ص4**) .

ويذكر (زكريا إبراهيم)أن(التذوق الفني)هو(الوسيلة التي تسمو بالمتذوق إلى المستوى الجمالي الذي يستطيع عنده أن يدرك الكلي فيما هو جزئي)(**2:ص267**) .

وأما(التذوق الجمالي)فيقول(علي عبد المعطي)عنه، بأنه معرفة مرتبطة بالموضوع الجمالي على أن يكون لهذه المعرفة ثلاثة شروط:

1.ألا تعمل على أضعاف الانتباه الجمالي للموضوع.

2 . ان تكون متعلقة بمعنى الموضوع.

3.إذا جعلت هذه المعرفة استجابتنا للموضوع ذا طابع ارفع ودلالة أعمق **(49:ص391)**.

والتذوق الجمالي عند الفلاسفة المسلمين مثل الكندي والفارابي واخوان الصفا وابن سينا والغزالي، هي عملية تحدث بين ذات مدركة وموضوع مدرك وتعتمد على ما يحدثه الموضوع الجمالي من اثر في النفوس بحيث ينتج عنه لذة تدعى اللذة الجمالية ، معتمدين في ذلك على الادراكات الحسية أو العقلية **(25:ص 380)**.

ويتفق الباحث مع مضمون التعاريف السابقة ، ألا انه يصيغ تعريفه الإجرائي(للتذوق الفني والجمالي)بما يفيد أهداف بحثه ، وهو على النحو التالي :

التعريف الإجرائي:

التذوق الفني والجمالي، هو ، والثالث التذوق حالة الشعور باللذة الجمالية نتيجة الإحساس الوجداني لسمة الوحدة في النصوص القرانية والإدراك العقلي للمفاهيم الجمالية النابعة منها .

ضم البحث ثلاثة مباحث ، تناول البحث الأول المقدمة وضمت أهمية البحث والحاجة إليه واهداف البحث وتحديد المصطلحات . واما البحث الثاني احتوى على الإطار النظري الذي تناول ثلاثة مواضيع رئيسية، الأول بعنوان أسس وقواعد التكوين الفني ، والثاني المفاهيم الجمالية عند الفلاسفة المسلمين الفني والجمالي ، واما البحث الثالث تناول النتائج والأستنتاجات .

المبحث الثاني: الإطار النظري

أسس وقواعد التكوين الفني-الوحدة :

أن أسس وقوانين العلاقات البنائية للتكوين الفني للعمل وطريقة تنظيمها هي التي تتم من خلالها عملية التذوق الفني ، وهي التي تفرز العناصر الجمالية في الموضوع ، ويكاد أي عمل فني متكامل لايستغنى عنها ، وقد حدد البحث مفهوم الوحدة على أنها من الأسس والقواعد المهمة للتعبير عن المفاهيم الجمالية في القران الكريم . والمتمثلة (بالسيادة والوحدة والتنوع والتناسق والتباين والتوازن والإيقاع والتكرار والإتقان).

الوحدة (**Unity**):

الوحدة في مجال الفن التشكيلي ، هي تنسيق عناصر العمل الفني وترابطها مع بعضها وأعطائها طابعا موحدا ليكون العمل عملا موحدا غير متفكك . وهي تعتمد على قوة الأداء والتكنيك لدى الفنان ، وتتضمن طابعان :

الأول استاتيكي الذي يميز الأشكال ويعطيها نمطية منتظمة تتمثل فيه عدد من الوحدات المتكررة للدوائر والمثلثات والمنحنيات المتماثلة في الأشكال الزخرفية . أما الطابع الثاني فالديناميكية وهو الطابع الذي تتميز به الأجسام الحية كالأنسان والحيوان أو أي أشكال لموضوعات غير حية لكنها قابلة للتزايد التدريجي حتى تصل إلى قمة نموها(**84:ص52**).

وللوحدة جوانب متعددة في التعبير ، منها وحدة التشكيل ووحدة الأسلوب الفني ووحدة الفكرة أو وحدة الهدف من العمل الفني ، وهذه الجوانب جميعها هي التي تثير عند المتلقي الإحساس النهائي بالوحدة . ولغرض تحقيقها يتوجب أمرين ، الأول علاقة الأجزاء بعضها ببعض والثاني علاقة كل جزء منها بالكل، واستبعاد كل ماهو غير منسق داخل الهيئة العامة للأشكال الموحدة(**36:ص67_73**) . أذن الوحدة في العمل الفني ، هي مجموعة العلاقات بين عناصر وأسس وقواعد العمل والتي ترتبط بدورها بمبادئ أخرى كمبدأ سيادة الموضوع الرئيسي أو سيادة الفكرة أو مبدأ التنوع فقد يكون الموضوع قوامه التكرار أو التنوع أو التوازن أو التماثل(السيميترية)أو التوافق بين الأشكال المختلفة أو الإيقاع ، وهكذا تتألف وتتناسق كل تلك السمات لأعطاء سمة الوحدة في إخراج النتاج الفني الذي يواجهه المتذوق وتحدث فيه تلك الاستجابة الجمالية(**33ص72**) .

أن المتذوق أو المتلقي وهو إزاء العمل الفني سيكون حكمه الجمالي حكما كليا وشموليا وعليه(أننا لانحكم على الأجزاء في العمل الفني بالجمال أو القبح ولكننا نحكم على العمل كله ، لأن الجزء وحده لايكون جميلا أو قبيحا ، ولكنه يشترك مع غيره في تكوين كل جميل أو قبيح(**21:ص239**) . فالجمال لا يصدر عن أجزاء متفرقة وأنما يصدر عن اتساق وتكامل عناصر العمل عندما تكون كلا موحدا . وهكذا تتوقف وحدة العمل الفني على قدرة الفنان في تنظيم عناصر وأسس تكوين العمل الفني وتحويلها إلى الحالة المؤثرة في الحس والعقل والوجدان ، وبذلك تصبح سمة الوحدة في العمل الفني دليلا على طبيعة شخصية الفنان ونفسيته وتصوراته وعلى طبيعة إبداعه الفني .

وتعد الوحدة من السمات الجمالية الأساس في محور تفكير فلاسفة الإغريق وقد(تبلورت المشكلة الميتافيزقية عندهم في محاولة إرجاع كثرة المشاهدة للموجودات الى مبدأ واحد ، افترضت أنه

سر النظام واساس المعقولية الشاملة للوجود . ولذلك كان بحثهم في الكون ، هو في الواقع ، بحثا عن النظام والترتيب والوحدة المنسقة للكل الجامع له في تالف وانسجام(**79:ص76**) .

أذن الوحدة واحدة من الأسس المهمة لعناصر التكوين الفني في الجانب الموضوعي وهي في نفس الوقت تعد سمة جمالية له ، فالعمل الفني الذي يمتاز بانسجام وتناسق قيمه الفنية المتمثلة بوحدة عناصره في بنائها الفني وبوحدة التكنيك والأسلوب ووحدة الفكرة والموضوع ، فسوف تتحول هذه الوحدة بالتأكيد إلى سمة جمالية تثير الحس الوجداني والمتعة لدى المتلقي .

والوحدة عند الفلاسفة المسلمين ، هي الكمال وصفة الكمال هو الواحد الأكمل أي الله ،وقالوا إن الجمال وحدة لان الواحد صفة الله ، كما ان الجمال والكمال من صفاته(**53:ص22**) . ويشير الكندي الى إن الكون يعتريه الوحدة والكثرة والتركيب ، والكثرة هي اثر من آثار الوحدة ، وان لم تكن كثرة لم تكن وحدة ، وان المحسوسات تهوى الوحدة وان الوحدة هي هوية المحسوسات ، فعلة الوحدة هي في الواحد الحق الأول . والواحد الأحد هي صفة الله (**71:ص76_ص125**) . ويرى الكندي بان الكون هو اشبه بالكائن الحي المنسجم التركيب وان العمل الفني لكي يكون متكاملا، يجب ان تسوده الوحدة في كل أجزائه ، وأي نقص في هذه الأجزاء سوف يخل في قيمته .

وتعني الوحدة عند الفارابي بأنها صفة الواحد الأحد الأكمل أي الله ، والكمال من الوحدة ، وارجع الوحدة إلى الله تعالى . وهو الموجود الأول ، وهو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها ، والأول بهذا الوجه واحد ، وهو واحد من كل واحد سواه باسم الواحد ومعناه (**62:ص30**) . واعطى الفارابي صفة الجمال التام للموجود الأول وهو الله (**62:ص40**) . لان وجوده افضل الوجود (**65:ص46**) . وهو سبب وجود سائر الموجودات كلها ، ويتميز بالوجود الذي تصدر عنه سائر الموجودات الأخرى ، وان أحد معاني الوحدة هو الوجود الخاص ، الذي ينحاز كل موجود مما سواه (**62:ص23_ص30**) . ويعد الفارابي الوحدة بأنها من أهم أركان الجمال من الناحية الوجودية أو الفن .

واما أخوان الصفا فقد ارجعوا الوحدة إلى الله تعالى أيضا،منطلقين من فكرتهم الرياضية فالواحد اصل العدد،كذلك الله هو علة الأشياء جميعا وهو خالقها ومبدعها وأولها وآخرها(**19:ص29**)،وفى ضوء ذلك فسر الأخوان الوحدة بأنها تندمج فيهاعناصر الكثرة وانتهى ابن سينا أيضا إلى إرجاع الوحدة إلى الله تعالى ، فواجب الوجود واحد فقط ، لا يشاركه شيئا آخر من جنس ولا نوع (**9:ص642**) . وهي ركن من أركان الجمال في تصوره للوحدة المفسرة للكثرة . كما انه يفسر الوحدة من خلال أجزائها ، فالوحدة موجودة في هذه الأجزاء ومرتبطة بوحدة الكل (**31:ص80**).

ويتفق الغزالي أيضا مع بقية الفلاسفة المسلمين في إرجاع الوحدة الى الله تعالى ، وان الله هو الوجود الأول وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص سوى الله، فالجميل الحق هو الله ، وهو الواحد الذي لا ند له **(55:ص104)**.

المفاهيم الجمالية عند الفلاسفة المسلمين :

عرفت الفلسفة الإسلامية على أنها توفيقية بين الدين والفلسفة ، والكثير من الباحثين يعتبرون معظم أفكارهم مستمدة من فلسفة أرسطو . وهو الفيلسوف اليوناني ذو النزعة الأخلاقية والذي نشد الفضيلة في تصوره للجمال عبر محاكاة المثل الأعلى ، ويتلخص رأيه في الفن ، على أنه محاكاة ولكي يمتع النفس عليه أن يحاكي الفضيلة والأخلاق . وأعتقد الكثير من الفلاسفة المسلمين أن اختيارهم وتفضيلهم لفلسفة أرسطو التجريبية كانت أقرب إلى نزعتهم العلمية من فلسفة أفلاطون القائمة في تصوراتها للفن على أنه محاكاة ولكي يكون ممتعا للنفس عليه أن يحاكي عالم المثل . إذا ما علمنا أن الفلسفة الإسلامية ليست مقصورة في تأثيرها بأرسطو ومدرسته وهم المشائيون ، وأنما يدخل في نطاقها المتكلمون ، وهم دعاة علم الكلام والتدريس الإسلامي في العصر الوسيط ، ومنهم المعتزلة الذين ربطوا وأدخلوا التفكير العقلي بتصورات السماء ، والمتصوفة وهم الفئة الذين اتصفوا بالنزعة الصوفية اتجاه تصوراتهم وارتباطهم الديني بالسماء ، والفقهاء وهم رجال الدين الذين انصرفوا لدراسة الفقه الإسلامي ونشأت عنهم المذاهب الدينية المعروفة ، وتأرجحت الفلسفة الجمالية عند العرب المسلمين زمنا طويلا بين فلسفة ارسطو وفلسفة أفلاطون ، حتى استقرت عند ارسطو وخاصة في تصوراته اتجاه الجمال**(30:ص40_ص41)** .

نشأت الفلسفة الإسلامية كمحاولة فكرية للدفاع عن العقيدة الإسلامية بالحجج العقلية ، وأظهر فقهاء وعلماء وفلاسفة المسلمين مفاهيم جمالية ، اتجاه الجمال والفن وخلق الكون والإنسان ، وسيحاول البحث إلقاء الضوء على آرائهم المتميزة في هذا الشأن وبأيجاز شديد ، ومنهم :

المعتزلة :

ظهرت هذه الحركة في القرن الثاني الهجري،متخذة التأويل الفعلي منهجا فكريا لعرض تصوراتها اتجاه المشكلات التي أثيرت في الفكر الإسلامي. وأكدوا على أن العقل هو هبة الله للإنسان ليدرك به الفرق به بين الخير والشر أو بين الحسن والقبح **(24:ص48)** . وعملوا على التوفيق بين أحكام العقل وأحكام الشرع وخاصة فيما يتعلق بمسألة الحسن والقبح بل نراهم قد ربطوا الأخلاق والجمال بالعقل والشرع معا ، فما حسن في نظر العقل حسن في نظر الشرع، بمعنى آخر أن العقل هو أساس القيمة الجمالية والأخلاقية**(18:ص19)** . وبذلك أرتبط الجمال عندهم بالخير والأخلاق ، فكل الأفعال الخيرة جميلة، والعقول تختلف في حكمها اتجاه الجمال من

شخص لآخر وهو أمر نسبي ومتغير ، بخلاف الشرع الذي هو ثابت لأن مصدره المشرع الأول الله(سبحانه وتعالى) .

الكندي (**185**هـ_**52**هـ) :

توضحت المفاهيم الجمالية للكندي عبر آرائه اتجاه الجمال الكوني . وأن الله تعالى هو صانع الكون، ومبدع الكل ، وممسك الكل ، ومتقن الكل(**72:ص236**) . وقد أتقن صناعة الكون على الأمر الأنفع والأتقن(**72:ص237**) . وبين قدرته تعالى على الخلق والإبداع والنظام في الكون، وأن الكون متناسق ومنسجم ومنظم حسب فكرة التناسب التي تأثر بها الكندي وساير الفلاسفة اليونانيين وأولهم ارسطو(**23:ص45**) .

ومن خلال تأمل الكندي للنظام المتكامل للكون أستخدم تعبير العشق الجمالي للتعبير عن التناسق والانسجام في الكون وترابط أجزائه وطاعته لله تعالى(**71:ص125**) ، وكيف كل جرم يؤثر في غيره من الأجرام بالشوق الطبيعي والخروج من القوة إلى الفعل ، أو يؤثر فيه بالطبع(كحرارة النار)، متخذة صورة جمالية هي العشق ، والعشق هو إفراط المحبة والتي تدل على اجتماع الأشياء ووحدتها(**72:ص250**) . وهكذا يعتبر الكندي الكون في نظامه وانسجامه وتناسقه لوحة فنية واحدة .

الفارابي (**259**هـ_**339**هـ):

حاول الفارابي تحقيق القيم الخيرة في الأشياء ، في محاولة منه للتوفيق بين الدين والفلسفة ، وجمع في توفيقيته هذه بين فلسفة أفلاطون وارسطو في تكوين نظريته الفلسفية اتجاه الجمال ، التي تبدأ بمنهج ارسطو في تأكيدها على الحس والحواس في استحصال المعرفة ومنها (الفنون)، وتنتهي بمنهج أفلاطون في تأكيدها على أشراقية المعرفة بواسطة الفيض* الصادر من العقل الفعال واهب الصور الآزلية (**16:ص45_46**). ويرى الفارابي أن الجمال التام (هو الذي لا يوجد جمال من نوع جماله خارجا عنه) (**62:ص26**) . ووضع للجمال مقياسا ظاهرا يعتمد على مدى تحقيق الموجود أو المدرك، وجوده الأفضل، وأن يتحقق كماله الأخير . وفي تقديره للقيمة الجمالية للأشياء ، يتضح الاتجاه العقلي في فلسفته الجمالية، فيقول(الجميل هو الشيء الذي يستحسنه العقلاء)(**22:ص186**) . رابطا بين الشيء الجميل والشيء النافع، فيقول عن الأشياء الجميلة هي(الأمور التي تستنبط في أنفع الأشياء وفي غاية ما، فاضلة)(**22:ص81**)، منطلقا من موقفه الديني الملتزم ، وعد الأشياء الجميلة نافعة ولها غاية أخلاقية عليا. وتتوضح رؤيته

* الفيض : تعبير فلسفي يدل قابلية الأشياء والظواهر على التحول ، وتحولها الى اشياء جديدة ، وترى هذه النظرية ان الأبداع الغير مرتبط بالزمان والمكان البعيد عن المادة ودوافعها الحسية ، وتطورت هذه النظرية على يد أفلاطون عند اليونان والفارابي وأبن سينا عند العرب المسلمين .

الفلسفية اتجاه الجمال ، بأنه(هو اللذيذ والنافع والجميل ، والنافع أما نافع في اللذة ، وأما نافع في الجميل)(**66:ص75**) . والجمال هو عنده جمال هادف ، والجميل ما يحقق النفع أو الفائدة أو الغاية الأخلاقية العليا ، وبهذا فأنه يربط بين الجمال والخير(المنفعة)والفضيلة(الأخلاق) . وعرف الخير الإرادي بأنه الجميل وأنه يحدث بواسطة القوى الناطقة النظرية والتي تشعر الإنسان بالسعادة(**67:ص73**) .

وفي ضوء ذلك دعا الفارابي إلى تسخير كل صور الجمال والفن في خدمة الأخلاق والفضيلة، وأن تكون للفن غاية أخلاقية عليا ، وهي تهذيب النفوس للوصول الى الأنفع والأجمل ، وبهذا المعنى يقال عن الفن(بأنه ينشر هدفا أخلاقيا ، وأن على العمل الفني أن يكون ذا مضمون أخلاقي)(**82:ص53**) . ومن خلال ربطه بين الجميل والأخلاق ، قسم الجميل الى صنفين ، صنف هو علم فقط ، وصنف علم وعمل (**66:ص76**) .

وفي رأي الفارابي أن الفنان هو الذي يتفاعل مع المحسوسات بشكل صوفي ، مدركا الكليات بتصوفه، رافضا الجزئيات المادية ، وأنه يستطيع أن يصل إلى الفيض العقلي(العقل الفعال)عن طريق تنقية نفسه من شوائب الحياة بالأخلاق الفاضلة وتطهير النفس ، وأن يكون ذا حس جمالي يمكنه من بلوغ الحق في عقله، وأن حبه للجمال يدفعه الى حبه للحق (**79:ص38**) . والعكس صحيح .

وفي نظرته لجمال الكون،عد الفارابي الكون بأنه منظم ومرتبط الأجزاء ومؤتلف ، ومرجعه إلى الوجود الأول وهو(الله تعالى)وهو المسبب لوجود سائر الموجودات كلها،ويتميز بالوحدة والذي تصدر عنه جميع الموجودات(**62:ص23_ص30**_) . وفسر النظام والانسجام والترتيب في الكون مستعينا بنظرية الفيض التي تشرح وجود الموجودات معبرا عن صورة جمالية تشمل نظام الكون وترتيبه(**62:ص9_ص44**_) . وطبق نظريته في نظام الكون على الفن أيضا ، فجعل من النظام والترتيب أحد الشروط الجمالية للفن الجميل (**67:ص107**) . وبهذا يحقق الفارابي رؤيته الجمالية نحو الكون والفن في مدينته الفاضلة ويعدها لوحة فنية متكاملة الأجزاء .

أخوان الصفا وخلان ألوفا (**4هـ_10هـ**) :

تعد رؤيتهم الجمالية من الاتجاهات الصوفية المثالية وذلك لاهتمامهم بالجانب الروحي للإنسان مفضلين ذلك على الجانب المادي ، وجمعوا آرائهم الفلسفية في رسائل مؤلفة من(**52**)رسالة . منها رسائل رياضية تعليمية تتناول موضوعات ، جسمانية طبيعية ونفسانية عقلية وناموسية إلهية . وانطلق أخوان الصفا في تفسيرهم للنظام والترتيب والتناسب في الكون من مبدأ العدد، وأكدوا أن مراتب الموجودات ونظام المخترعات مطابقة لمراتب الأعداد المفردات المتتاليات عن الواحد،وأن الكل يرجع إلى الواحد(**20:ص201**) . والواحد هو الله ، وأرجعوا صفة الوحدة

إليه(جلا وعلا) وقالوا أن الله(لما أبدع الموجودات وأخترع المخلوقات نظمها ورتبها في الوجود كمراتب الأعداد عن الواحد ، لتكون كثرتها دالة على وحدانيته وترتيبها ونظامها دالان على أتقان حكمته في صنعها ، ولتكون أيضا نسبتها إلى الذي هو خالقها ومبدعها كنسبة الأعداد إلى الواحد الذي قبل الاثنين الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشأها) **(20:ص201_ص208)** . أن فكرة التناسب عند أخوان الصفا تتضح بشكل جلي في تفسيرهم للنظام والترتيب في خلق الكون وإبداعه ، مستندين إلى النسبة الأفضل التي هي مقياس لإتقان جميع المصنوعات والمركبات والتأليفات إذا كان في تركيب بنيته أو تأليف أجزائه**(20:ص168)** . وعلى هذا الأساس أعطوا معيارا رياضيا هندسيا للجمال، وقالوا (أن الأمور الطبيعية أنما صارت أكثرها مربعات بعناية الباري جل ثناءه واقتضاء حكمته لتكون مراتب الأمور الطبيعية مطابقة للأمور الروحانية التي هي فوق الأمور الطبيعية)**(19:ص28_ص171)** . وجعلوا من فلسفتهم أن تكون متوافقة مع الرقم**(4)** في رؤيتهم اتجاه مكونات الكون وعلى النحو الآتي:

1.المكونات أربعة : الإنسان والنبات والحيوان والمعادن

2.الأركان أربعة : الماء والنار والهواء والتراب

3.الأزمان أربعة : الربيع والصيف والخريف والشتاء

4.الجهات أربعة : الشرق والغرب والجنوب والشمال

5.طبيعة الطقس : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة

6.الرياح أربعة : الصبا والربو والجنوب والشمال

7.الأخلاط أربعة : الدم والبلغم والمرء الصفراء والمرة السوداء

8.الأوقات أربعة : الطالع والغارب ووقت السماء ووتر الأرض**(30:ص54)** .

تعرض أخوان الصفا إلى خلق الإنسان ، وقالوا أن الله تعالى خلق أعضاء جسم الإنسان متناسبة ، فجعل طول قامته مناسبا لعرض جسمه وعرض جسمه مناسبا لعنق تجويفه وطول ذراعيه مناسبا لطول ساقيه**(19:ص167)** . معبرين عن أتقان صفة الباري وإبداعه في خلق الإنسان بما فيه من تناسب في أجزائه وحسن صورته . وعرفوا الإبداع بأنه(إيجاد الشيء من لاشيء)**(19:ص220)** . وميزوا بين نوعين من الإبداع ، الأول إبداع الخالق(تعالى)في صنع الكون وحدوث العالم ، حيث أخرج الباري الأشياء من العدم الى الوجود ، والثاني إبداع البشر الذي يقوم على اختراع الفنون والمصنوعات من مادة للصنع**(19:ص166)** . واستطاعوا بهذا التصور اتجاه خلق الكون أن يحققوا المفهوم الإسلامي للكون بأنه خلق الهي متكامل ومترفع عن كل مخلوقات ومصنوعات الفن . وعدوا الفن بأنه نوع من أنواع الصناعات الحرفية التي تدخل

فيها النسبة التأليفية*، التي تحصل من تأليف الأشياء بمقادير محدده ، بين أشياء متضادة الطبع ، هذه النسبة تحيلها إلى شيء نافع تظهر فيه آيات الروعة والجمال والحسن والبهاء . وجعلوها إحدى مقومات الفن والعمل الفني ، وأضافوا إليها المادة واعتبروها من العناصر المهمة في العمل الفني أيضا، وعدوا الحذق في جميع الصناعات والفنون الجميلة هو تحصيل الصورة من المادة التي يتم الانتفاع بها ، وينتج عنها الزينة والجمال(**19:ص217**). وشبهوا عمل الفنان الماهر الحاذق بعمل الصانع الحكيم ، حيث يقال أن الله تعالى يحب الصانع الفاره الحاذق(**19:ص220**) . مقتديا بصفة الباري تعالى متشبها بحكمته ، وبهذا الخصوص قيل في الفلسفة بأنها تشبه باللاله بحسب الطاقة الإنسانية(**19:ص167**).

أبن سينا (**370هـ_428هـ**) :

تتحقق رؤية أبن سينا الجمالية للكون ، من خلال إتقان صنعة الله تعالى وكيفية إبداعه للكون بما يتصف من نظام وترتيب وتنسيق وانسجام ، فالعناية الإلهية هي التي أحاطت بعلم الكل ، وما على الكل أن يكون بأحسن نظام ، فعلم الأول بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل ، فهو منبع للخير في الكل (**9:ص729_ص730**) . فالكل صادر عنه في سلسلتي الترتيب والوسائط ، وهي صدرت عنه بترتيب معلوم ووسائط لا يجوز أن يتقدم ما هو متأخر منها ولا يتأخر ما هو متقدم وهو المقدم والمؤخر معا(**13:ص15**) . ويظهر أبن سينا بأنه متفق مع آراء الفلاسفة المسلمين اتجاه الجمال الكوني في نظامه وترتيبه وإرجاعه للوحدة المفسرة للكثرة وعدها ركن من أركان الجمال المطلق . وعد الجمال الإلهي هو الجمال المطلق المنزه عن كل نقص وهو غاية الكمال ، وكل جمال وكمال فهو من وجوده بل من آثار كمال وجوده(**5:ص3**) . وأما الجمال الإنساني فقد عبر عنه من خلال تصويره لعملية خلق البشر ،وأن الله تعالى قد خلق البشر وفضلهم على كثير من خلقه،وجعلهم أحسن الخلق وجعل طبائعهم أكمل الطبائع وتركيبهم أعدل تركيب،وزودهم بالآداب الحسنة وألبسهم جمالها وأخلاقها الكريمة،وجعلهم يميزون بين الخير والشر .

غلبت على آراء أبن سينا الجمالية في الفن بأنها ذات نزعة حسية وموضوعية ، ويرى أن حسن الصورة يوجد في طبيعة تركيبها وتنظيمها وتناسقها ، والجمال عنده له غاية تكمن في ذاته ، وغير مرتبط بالغايات الأخرى ، والغايات عند أبن سينا ثلاثة ، خير ونافع ولذيذ(**21:ص104_ص141**) . وبهذا يكون الجمال عنده مرتبط بطبيعة الهدف والغاية المرجوة منه ، فكل جميل محسوس يرتبط بفكرة الخير والنافع ، فهو يمثل الجمال ، ويدلنا ذلك على الجمال المطلق لخالق الجمال المحسوس . جعل أبن سينا فكرة التناسب مقياسا للجمال الفني من

* النسبة التأليفية: وتتكون هذه النسبة من نسبة عددية وهي الكمية ومن نسبة هندسية وهي الكيفية أو بهما معا وتسمى النسبة التأليفية الموسيقية .

الناحية الشكلية ، وأما من ناحية المضمون فقد عد الفن بأنه محاكاة ، والمحاكاة نوعان ، الأولى هي محاكاة يقصد بها التعبير عن الشيء كما هو في الطبيعة، ويطلق عليه التصديق ، والثانية هي محاكاة يقصد بها التعبير عن الشيء مع إضافة التحسينات عليه . بحيث يظهر بشكل جديد يفوق شكله في الواقع(**14:ص166**) ، لذلك فالمحاكاة عند أبن سينا لذيذة ، وهي من اختصاص القوة المتخيلة(**9:ص825_ص882**) ، وعد الفن نوع من أنواع السحر وذلك لقوة تأثيره على النفس البشرية (**13:ص9**) .

أبو حيان التوحيدي (**414**هـ) :

للتوحيدي آراء اتجاه الجمال تحمل في طياتها آراء المفكرين المعاصرين له ، وتعرض لجماليات الصورة الإلهية ، مؤكدا أن الذات الإلهية وصورتها لا تدركها الأبصار وأنما تدركها البصائر ، ويخلص إلى أن المدركات العقلية هي أعلى مرتبة من المدركات الحسية ، وأن جماليات الصورة الإلهية لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكنها تدرك بالعقول ، ويرى أن لتكوين الجمال عوامل كثيرة ، فيقول(مناشئ الحسن والقبيح كثيرة ، منها طبيعية ، ومنها بالعادة ومنها بالشرع ومنها بالشهوة)(**29:ص150**) . فما كان ملائما للعادات أو الشرع أو العقل فهو جميل وما كان مخالفا لها فهو قبيح . ويتعرض الى الجمال الإنساني مشيرا إلى فكرة التناسب الجمالي التي تتوضح في كمال الأعضاء وتناسبها المقبول من قبل النفس الإنسانية(**72:ص31**) .

تعرض أيضا إلى مسألة المقارنة بين الجمال الطبيعي والفني ، فنراه يميل إلى الأول أكثر من الثاني ، ويرى أن هناك قوة إلهية في الطبيعة سارية في الأشياء واصلة إليها ، والصناعة البشرية مستخرجة من الطبيعة والتي هي إلهية الخلق ، ولا سبيل للمساواة بين الاثنين(**29:ص39**) . ونراه لا ينكر ما لجمال الصناعي الفني من دور مؤثر في النفس ، ويفصح في أحيان أخرى على أن الجمال الطبيعي يحتاج الى الفن ، وأن النفس تشتاق إلى الجمال الفني شأنه شأن الجمال الطبيعي ، والطبيعة إنما تحتاج إلى الصناعة لأكمال جمالياتها، وأن الصناعة هي من ابتكار العقل تملى على الطبيعة .

ولما كان الجمال الصناعي الفني مكمل للجمال الطبيعي والجمال الطبيعي يقودنا الى ادراك مبدعه وخالقه ، فأن ذلك يقودنا إلى الجمال المطلق لله تعالى ، ويقرر التوحيدي أن لاخير في أي عمل أو صناعة لا تؤدي إلى توحيد الخالق والاعتراف به .

أبو حامد الغزالي (**450**هـ_**505**هـ) :

سار الغزالي على نهج الفلاسفة المسلمين الذين دعوا إلى الجمال المطلق لله تعالى ، والجميل الحق المطلق هو الله ، وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا يشوبه نقص سوى الله(**55:ص104**) . وأما بقية مظاهر الجمال فتتفاوت جمالها تبعا لحضور كمالها الممكن اللائق

بها ، فتكون في مرتبة أدنى من الجمال الإلهي ، وذلك لحضور بعض كمالاتها الممكنة. وجمال الشيء في رأي الغزالي هو في كماله ، وخلوه من النقص والعيب ، ويظهر في تنظيم أجزائه بشكل متناسق ومنسجم بعضها مع البعض وبصفة عامة لائقة ، أي أن جمال الشيء يظهر في كماله اللائق به والممكن له(**54:ص574**).وميز الغزالي نوعين من الجمال ، الأول جمال يقع على الصور الظاهرة التي تتعلق بتناسق الصور الخارجية وانسجامها سواء كانت سمعية أو بصرية، والثاني يقع على المعاني التي تتصل بالصفات الباطنة،وهو جمال أخلاقي(**45:ص300**).وربط الغزالي بين الجمال والخير وعد الجمال من الفضائل والخيرات بالإضافة إلى اللذيذ والنافع ، وفي مقابلها الشرور التي هي الضار والقبيح والمؤلم(**61:ص306**) .

وأما عن الجمال الإنساني ، فينبه إلى جمال الصورة التي تتصف بالجمال اللائق عند الإنسان والتي تتمثل في(ارتفاع القامة،مع الاعتدال في اللحم ، وتناسب الأعضاء،وتناسب خلقة الوجه ، بحيث لا تمل الطباع عن النظر إليه)(**54 :ص299_ص300**).وجمال الصورة بشكل عام موجود في ظاهرها وباطنها ، فيدرك ظاهرها بالبصرأوبالحواس،ويدرك باطنها بالبصيرة أو العقل.ويتمثل الجمال الباطني أو الجوهر في المعنى والقيم والأخلاق ، وأن البصيرة الباطنة أقوى من البصر ،والقلب أشد إحساسا وبصيرة من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للأبصار(المصدر السابق) ، فيكون الجمال المدرك عقليا متقدما ومفضلا على الجمال المدرك حسيا عند الغزالي .

وأما عن آراءه في جمال الكون فانه متفق مع موقف الفلاسفة المسلمين ، في نظرتهم اتجاه الكون وما يسوده من نظام وترتيب وانسجام ، بما يدل على عظمة الخالق في خلقه،وأكد أن الله تعالى خلق الموجودات كلها بأحسن ترتيب وصورها بأحسن تصوير ، وصنع العالم وأبدع ، وأخرج كل شيء من العدم(**55:ص72_ص73**) .

ويشير الغزالي إلى جمال الطبيعة في معرض تفسيره للجمال الذي يسود الكون ، فيؤكد إبداع الخالق في تصويرها وحسن صناعتها ، بما فيها من بدائع النقوش والخضر والأشجار والى الفلك وما فيه من ليل ونهار وشموس وكواكب صغار وكبار(**56:ص165**).

التذوق الفني والجمالي :

ويعني التذوق الفني الجمالي في الفكر الفلسفي المعاصر ، قابلية الإنسان على الاستمتاع والاستجابة لمجموعة من العلاقات في عناصر التكوين المميزة للعمل الفني ، وكذلك تذوقه للعلاقات الجمالية التي تعكسها لاحساس المتلقي ، ويعد التذوق عاملا من العوامل المهمة في تكوين الفرد وقد يرتقي ليصبح أسلوبا من أساليب المعالجة لكل ما يقع تحت

يديه(**26:ص228_229**) . جاءت العديد من الطروحات لتعبر عن التذوق الفني في ضوء عناصر التشكيل والعلاقات الجمالية والتعبيرية من حيث الأداء والتقنية . ففي هذا الخصوص يذكر هيرن ان دراسة التذوق الفني هي من أهم البدايات لفهم الفن . وأما غوستاف تيودور فخنر ، الذي حاول اكتشاف التذوق الفني عبر تطبيق مبدأ الاستقراء للمبادئ الأساسية التي تتيح إخراج علم جمال اختياري وإحصائي ينهي عن التنظيرات السابقة(**40:ص469**) . ويرى ان يبتعد علم الجمال عن التأملات الفلسفية ،ويقتصر على القوانين الفيزيولوجية والنفسية المتحكمة في تجربة التذوق الفني(**77:ص10**)وأنه لا ضرورة للأهتمام بالمفاهيم الفلسفية مثل الحدس والتصور والوجدان بل يجب الاهتمام بالمنهج الاستدلالي التجريبي بمعنى ان التذوق يخرج بمفاهيم واحكام بعد مواجهته للعمل الفني نفسه واستقرائه للعناصر الفنية المكونة له(**40:ص470**) . وهو ما سنحاول أن نقوم به في تذوق واستقراء مفهوم الوحدة في ايات الذكر الحكيم ، من خلال قراءتها وتفحص معانيها ومضامينها واستشفاف مدلولاتها الحكيمة ، وأقامة العلاقات الجمالية بينها .

أما الناقد والمفكر (هربرت ريد)الذي أغنى ببحوثه واراءه النقدية وكتاباته الجمالية ، الفكر الفلسفي والجمالي المعاصر ، فأنه يرى أن الهدف الأسمى للتذوق هو ليس الاستمتاع ببعض القيم ، بل هو الوصول إلى الرمز وأن للفن لغته القائمة على الرمز وأن لهذه اللغة نسقا خاصا من القواعد وأن الشئ القابل للإدراك هو الشكل الذي ينقل معنى من معاني الوجود (**2:ص334_335**) .

وعرف هربرت ريد الفن على أنه(محاولة لخلق أشكال ممتعة ومثل هذه الأشكال تشبع إحساسنا بالجمال ، وإحساسنا هذا أنما يشبع حينما نكون قادرين على أن نتذوق الوحدة أو التناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء التي تدركها حواسنا)(**39:ص50**) .

أما سومرسيت المفكر والكاتب فيقول في وصفه للتذوق الفني وشعوره أمام العمل الفني(أنه تأثير يؤدي إلى شعور بابتهاج عقلي مصبغ بالشهوة وشعور من العافية أحس معه بالقوة وبالتحرير من القيود البشرية وأشعر في نفس الوقت بحنان غامر غني بالعطف الإنساني وبراحة وسلام وسمو في الروح)(**76:ص 2030**).ومن خلال اوجه التشابه والاختلاف بين منطق التفكير والتنظير في نظريات الفكر البشري التي تؤدي إلى نتيجة فحواها ، أن الجمال طبيعيا كان أم فنيا ذاتيا أم موضوعيا ، مثاليا أم واقعيا ، حسيا أم عقليا هو قيمة موجودة في ذواتنا وفي كل ما حولنا في الطبيعة التي خلقها الله تعالى واحسن صورها بل أن الجمال هو قيمة من قيم الوجود ذاته ، ومهما كانت طرق استشعاره أو الإحساس به فهو بمجمله حاجة إنسانية شاملة وعميقة،يمكن إيجادها في التراث الفكري الروحي لجميع الأمم منذ نشأتها ولحد ألان وهو الدافع وراء كل الإرث الفني والحضاري البشري.والتذوق الفني لمعطيات جمال الخلق الإلهي مهما اختلفت طرق تحديده

وتقيمه هو قيمة أساسية في الوجود ، يسمو بثقافتنا ويضفي عليها طابعا من النبل والسمو الروحي.

مقومات التذوق الفني:

لكي تتم عملية التذوق الفني وبشكل سليم ، لابد من توافر عدة عناصر ومقومات مترابطة تعتمد عليها العملية ، وتتلخص بالاتي :-

١. **التوقف**: وهو حالة الإحساس والشعور بالجمال ، من خلال المشاهدة العيانية واستقراء الخصائص الفنية والجمالية للعمل ، والتوقف ومثول المتلقي أمام الشيء الجميل ، ثم تبدأ عملية التأمل والاستقراء واستجابة الذات للموضوع . فيقول(جو تشوك- **Gotshalk**) (أن الانتباه نحو الجمال هو قبل كل شئ انتباه مركز نحو الموضوع الجمالي بالدرجة الأولى)(**p.4 :85**) .

٢. **الإدراك والفهم**: ويقصد به معرفة الشيء المراد تذوقه وفهمه والكشف عن القيم الجمالية والابتكارية فيه.

٣. **الاندماج والاستمتاع**:وتعني المعايشة الكاملة والتأمل العميق للموضوع الجمالي والإحساس بالخبرة الجمالية التي مر بها الفنان أثناء القيام بالعمل الفني ثم الاستمتاع بكل تفاصيل الموضوع الجمالي،من خلال التفاعل الحيوي بين الذات وعناصروقواعد التكوين الفني للعمل مثل(الشكل والخط واللون والفضاء والفراغ والملمس والوحده والتنوع والإيقاع والتكراروالموازنة والانسجام والتضاد والتماثل والتناظروالسيادة والإتقان).

٤. **التقدير والحكم**: إدراك الشيء المراد تذوقه وإصدار الحكم عليه ، وهي خطوة تلي خطوة الاستمتاع ، وبها تتم عملية التذوق الفني بشكل كامل(**32:ص92_93**) .

التذوق الجمالي عند الفلاسفة المسلمين :

ويعني التذوق الجمالي في الفكر الإسلامي للإشارة إلى طبيعة المعرفة التي هي عند الصوفية بانها ليست حسية أو استدلالية عقلية فحسب وانما حاصلة عن طريق الذوق فهي ذات طبيعة وجدانية تماما ، حيث عدت المعرفة الصوفية ذوقا يجعل من المتصوف اقرب الى الفن يقوم على الخبرة الذاتية والمعاناة منه إلى العلم(**41:ص457**).

ولنا في الاتجاه الصوفي المثالي الذي دعا أليه الفلاسفة المسلمين ، مثل الكندي الذي يقول،أن للجسد والروح نصيب في عملية التذوق الجمالي ، التي تحدث بين ذات مدركة وموضوع مدرك ، وتعتمد على ما يحدثه الموضوع الجمالي في النفس من لذة جمالية .

ويعدها عملية حسية بحتة ، ألا أنه لا يشجع على هذا النوع من التذوق الجمالي منطلقا من نظرته الدينية الأخلاقية ، ويعدها لذات جسدية دنسة ، مفضلا عليها اللذات العقلية

الإلهية(27:ص277). وأكد الكندي إلى أنه هناك عدة عوامل تؤثر في عملية التذوق الفني الجمالي ، من هذه العوامل المتغيرات الجغرافية والمؤثرات الطبيعية مثل الهواء والغذاء والمناخ ودرجة الحرارة التي تنتج الادراكات العادية والحساسية النهائية ، لذلك هنا تباين في النتاجات الفنية بين مدينة إلى أخرى وبين قومية إلى أخرى تبعا لاختلاف خلقهم وعقولهم وآرائهم وشهواتهم ومذاهبهم واختلاف مواقع بلدانهم وأهوائهم ومياههم وثمارهم(73:ص26). ومؤكدا على الجانب العقلي في تذوق الجمال ، وعدم اكتراثه في الجانب الحسي(74:ص120_122) .

أما عملية التذوق الجمالي عند الفارابي تحدث بوجود ذات مدركة وموضوع مدرك وما يحدثه الموضوع الجمالي في نفوسنا من لذة جمالية ، مؤكدا أن لكل من البدن والنفس ملذات ومؤذيات ، فالملذات هي أدراك الملائم من الأشياء ، والمؤذيات هي أدراك المنافر منها(64:ص94) . وعملية التذوق الجمالي عند الفارابي نسبية ومتغيرة ولا يخضع إلى أي قياس فكل فرد له لذة جمالية خاصة(81:ص130)ويؤكد ان هناك ثلاث قوى تدرك الملذ والمؤذي ، القوة الحساسة وهي التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس المعروفة ويمكن بها أدراك الملذ والمؤذي من الأفعال ، والقوة الناطقة وهي التي يميز بها بين الجميل والقبيح من الأفعال والأخلاق وبها يكون الرؤية ، ويدرك بها النافع والضار والملذ والمؤذي(65:ص32)، والقوة المتخيلة وهي الحاسة المختصة في أدراك اللذيذ والمؤذي من الأفعال والأخلاق(62:ص94) . وحينما تصل القوة المتخيلة إلى نهاية الكمال ، فأنها تحاكي تلك الأشياء محسوساتها في نهاية الجمال والكمال(62:ص33).ودعا الفارابي إلى الجانب العقلي في تذوقه للجمال والى الجمال المطلق ، وهو الجمال الإلهي ، فيقول عنه(فجماله فائق لجمال كل ذي جمال ، وكذلك بهائه وزينته)(62:ص35) . ويعد كل صور الجمال ماهي تجليات للجمال الإلهي وأن أدراك هذا الجمال ، تحصل بصورة أتقن وأتم ، عندما يدرك الأجمل والأبهى والأزين فإذا كان الله هو الأجمل في النهاية والأبهى والأزين ، فادراكه لذاته الإدراك الأتقن في الغاية(62:ص36) . أما إدراكنا نحو الأكمل والأبهى والأجمل إدراكا أتقن وأتم فيتم أما بإحساس أو تخيل أو بعلم عقلي(62:ص38) .

ويشير الفارابي إلى أن عملية أدراك الجمال الإلهي وتذوقه ، تحصل عندما تتجرد النفس من المادة وتصبح شبيهة بالأشياء المفارقة ، وتصل القوه المتخيلة إلى أعلى درجات الكمال ، هذه العملية تحصل عند المتصوفة في معراجهم الصوفي .

وأما عملية التذوق الجمالي عند أخوان الصفا فهي تخضع لظروف الزمان والمكان ولمتغيرات الأمزجة والأخلاط وهي تختلف من قوم إلى قوم ومن إنسان إلى إنسان ، أي هي نسبية ومتغيرة كما هي عند الفارابي(19:ص143) . كما عدوا اللذة والألم مقياسا لعملية التذوق

الجمالي(20:ص349) . واللذات عندهم ، هي ما تجده النفس بمجردها ومنها ما تجدها يتوسط الجسد وهي على سبعة أنواع ، وما يهمنا منها نوعان المدركات بطريق النظر ، والمدركات بطريق السمع(20:ص68_ص83) ، والتي من خلالها يمكن تذوق آيات القرآن الكريم . ووفق أخوان الصفا بين مبدأ اللذة ومبدأ التناسب الذي دعوا إليه ، وأكدوا على أن عملية التذوق الجمالي نسبية وتتغير بتغير العوامل بالرغم من ثبات الموضوع المدرك ، وقسموا الناس في عملية تذوق الجمال وإدراكه إلى خواص وهم العلماء والى عوام وهم الناس الأعتياديون(20:ص270_ص274) . وأكدوا في نظرتهم للجمال على الجمال العقلي الذي يقود إلى الاتجاه الصوفي ، ناهين عن الجمال الجسدي(20:ص272) . ومنحوا صفة الجميل تبعا لذلك إلى الله بالإضافة إلي الرحمة والجود والكرم وغيرها(20:ص271). فالمؤمنون من المتصوفة الذين يعشقون الله ويحبونه ، هم دائما في تطلع إلى ملاقاة محبوبهم والأنس به(19:ص179) .

وأما التذوق الجمالي عند أبن سينا فقد ذهب إلى تجاوز اللذة الحسية إلى اللذة العقلية اتجاه حكم الذات المدركة نحو الموضوع المدرك ، معتمدا على مبدأ اللذة ، فكلما كان الإدراك أشد تحقيقا والمدرك أكمل وأشرف ذاتا ، كان التذاذ النفس بالهيئة الحاصلة أشد وأكثر(8:ص369) . ذلك أن قوة اللذة وضعفها ، يتبعان قوة الإدراك وضعفه ، فاللذة إدراك ما(9:ص750) . وربط أبن سينا بين اللذة والكمال ، وأكد على أن كل قوة تشتاق إلى كمالها المناسب ، وتتألم بحصول أضداد منافرا مؤذيا(6:ص146) . وطبق هذا المبدأ على الفن ، ويؤكد على أن المحاكاة لذيذة وخصوصا عند الإنسان ، ويقصد بالمحاكاة أنواع الفنون الجميلة(7:ص8) . وينتهي أبن سينا إلى أن(الغايات ثلاثة ، خير ونافع ولذيذ ، أن اللذة حركة للنفس وتهيؤ يكون بغتة بالحس للأمر الطبيعي الملائم فكل ما يفعل هذه الحركة والتهيؤ فهو لذيذ ، وما يفعل ضدها فهو مؤلم مؤذ ، والأمور الملائمة منها ما يلائم بالطبيعة ومنها ما يلائم بالعادة ويلائم بالطبيعة والعادة الكسل والتواني والمعصية والدعة والنوم والمشتهيات التخيلية والحسية والفكرية كالفنية)(10:ص61_ص62) . ودعا أبن سينا إلى اللذات العقلية والى الجمال العقلي ، واصفا العقل بالجمال(11:ص40) ، حيث تشتاق النفس بواسطة القوة العقلية إلى الجميل العقلي(12:ص96).إذن الغاية القصوى التي يصبو إليها أبن سينا ، هي الوصول إلي إدراك الجمال الإلهي وتذوقه ، من خلال النفس الناطقة بعد أن تصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض في الكل ، حتى تستوفي في نفسها هيئة الوجود كله ، فتنقلب عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدة لما هو الحسن المطلق والخير المطلق والجمال الحق المطلق ، ومتحدة به ومنتعشة بمثاله وهيئته ومنخرطة في سلكه وصائرة

من جوهره(**8:ص425**) . وعد الجمال الإلهي هو الجمال المطلق المنزه عن كل نقص وهو في غاية الكمال ، وكل جمال وكمال فهو من وجوده بل من آثار كمال وجوده(**13:ص5**) .

ويتفق أبو حيان التوحيدي مع بقية الفلاسفة المسلمين في أن عملية التذوق الجمال تخضع لعاملين ، الأول موضوعي يرتبط بالموضوع الجمالي نفسه ، والثاني ذاتي يرتبط بالمتذوق ومزاجه وأن هذه العملية تختلف من شخص لآخر(**13:ص31**) .

ويؤكد الغزالي أيضا إلى أن عملية التذوق الجمالي هي نسبية ومتغيرة ، وتختلف من قوم إلى قوم ومن شخص إلى آخر ، وأن التذوق فوق العلم ، فالذوق وجدان والعلم قياس(**57:ص77**). ويؤكد أن عملية التذوق تحصل بوجود موضوع مدرك وقوة مدركة ، وينتج عنها اللذة ، فاللذة هي إدراك ما ، ولكل حاسة في الإنسان ملذات ومؤلمات ، وهي تنقسم إلى ظاهرة وباطنة، فهي التي تدرك بواسطة القلب أو العقل ، كلذة الرياسة والغلبة والكرامة وغيرها(**58:ص189**). ووضع الغزالي معيارا للكشف عن ترجيع اللذات بقوله(وأنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فأن المميز بين النظر للصورة الجميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة(**54:ص309**) . وفضل اللذات العقلية ، الناتجة عن إدراك الصورة الجميلة الباطنة التي ندركها بالبصيرة الباطنة أو العقل(**58:ص189**) . ذلك أن العقل يدرك الأشياء المجردة ، ويدرك الماهية الكلية للأشياء التي يستحيل تغيرها(**60:ص246**) . ويؤكد الغزالي على هذا الجانب بقوله(جمال المعاني المدركة بالعقل أعظم ، من جمال الصورة الظاهرة للأبصار فتكون لامحال لذة القلب بما يدركه الأمور الشريفة التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ)(**54:ص297**) . وبهذا يؤكد لنا الغزالي أن هناك لذات عقلية دائمة أزلية لا تفنى ، موجودة في دار الآخرة ، وذلك من خلال إدراك الجمال الإلهي ومعرفته ، حيث أن اللذة والسعادة للبشر هي في معرفة الله ، فلا لذة أعظم لذة معرفته وليس منظر أحسن من منظر حضرته ، وجمال حضرته وجلاله لا يقاس به جمال ولا جلال(**60:ص51_ص52**).ويؤكد الغزالي في تذوقه للجمال بإرجاع الجمال المطلق إلي الله تعالى ، وكل جمال في العالم ، فهو حسنه من حسنات ذلك الجمال ، وهو مبدأ كل جمال وبهاء(**60:ص247**).منتهيا إلى نظريته الصوفية المثالية في ربطه سائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي وكأن الجمالات لجزئية سواء كانت عقلية أم حسية ، أنما تشارك في الجمال الإلهي وترتبط به لأنها أثر من آثاره .

فعملية التذوق الفني والجمالي عند الفلاسفة المسلمين الذين ذكروا سابقا ، تتم بين تفاعل قطبين رئيسيين ، الأول يشكله الإنسان وهو المقصود بعملية التذوق للخلق الإلهي كونه يمثل سيد الكائنات التي خلقها الله تعالى ، وهو الكائن القادر على تذوق الجمال المبثوث في الطبيعة

والكون ، وهو القادر على إصدار الأحكام والتقييم اتجاه الجمال ، ويتبين الجميل من القبيح وهو المفطور على حب الجمال والفضيلة وكره كل ما هو قبيح وشرير . وأما القطب الثاني فيمثله(العمل الفني)الحسي الذي يجذب انتباه الآخرين ، وهو ما عرف في علم الجمال(بالموضوع الجمالي)أو(الشئ الجميل) .

فالقطب الأول يمثله(الإنسان المعبر عنه(بالذاتي)والقطب الثاني يمثله(العمل الفني)المعبر عنه(بالموضوعي)، ولا تتم عملية التذوق إلا بوجود هذين القطبين(الذاتي والموضوعي) كما أن عملية التذوق لا تعتمد على ذات الإنسان وإصدار حكمه فقط ، بقدر ما يظل الحكم مربوطا بالموضوع الجمالي الذي تشع من كيانه القيمة الجمالية ، لقوله تعالى(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين)(الزخرف/71). وهذا يعني أن طبيعة الجمال موجودة في طبيعة المخلوقات والكائنات ، وأن الإنسان بما يملك من قدرة على التذوق ماهي ألا واسطة للوصول إلى المتعة والتلذذ بالجمال .

والإنسان يمر بمراحل ثلاث عند تحسسه للموضوع الجمالي :

المرحلة الأولى: هي مرحلة تأثر أعضائه الحسية بالسمات الجمالية للموضوع ، ووصول التأثير إلى المراكز العصبية ثم المراكز العقلية .

المرحلة الثانية: هي المرحلة النفسية التي يتم فيها المتعة واللذة والاستجابة للموضوع الجمالي

المرحلة الثالثة: هي مرحلة الإدراك العقلي، ويتم ذلك من خلال وعي العقل البشري(الذهن) لمقومات الموضوع الجمالي، فيصدر العقل أحكامه ومقاييسه اتجاهه(**70:ص125**) . إلا ان النفس تبقى موطن اللذة والمتعة لكل شئ جميل ،وهي تتسم بالصفات التي ذكرها الله في كتابه الكريم:

1.صفة النفس المطمئنة ، قال تعالى(يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية) (الفجر/27).

2.صفة النفس اللوامة، قال تعالى(ولا أقسم بالنفس اللوامة)(القيامة/ 2) .

3.صفة النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى(أن النفس لأمارة بالسوء)(يوسف/3 5) .

فالنفس المطمئنة هي التي اطمأنت بالأيمان وبعبوديتها للخالق ، وهي موطن اللذة والمتعة الحقيقية لكل أنواع الجمال الطبيعي منه والموضوعي . واللذة أما جسمانية تتولد من خلال تحسس مادي للموضوع ، أو نفساني تتولد من أدراك الجمال في الشيء الجميل (**47:ص282**) . والنفس لكي تتحسس وتتمتع بالجمال،لابد أن تكون ذاتها جميلة ،وذلك عن طريقة تطهيرها بالأيمان واتسامها بالفضائل وتخلصها مما علق بها من ذنوب ورذائل عارضة (**77:ص120**) .

المبحث الثالث: الوحدة في القران الكريم (عينة البحث)

لمفهوم الوحدة في كتاب الله(عز وجل)دلالاته العميقة ، فهي تنطلق من مبدأ واحد أساس هو توحيد الخالق. والتوحيد حسب المفهوم القراني هو الأيمان باله واحد لاشريك له ولا ولد، وليس توحيد الهه مشتركة في اله واحد . فالله ليس كمثله شيء ، كما في قوله تعالى(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد)(الإخلاص/1– 4) . قال تعالى(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(الشورى/11) ولمفهوم الوحدة سمات ومفاهيم جمالية عديدة في القران الكريم وعلى النحو الآتي :

أ. وحدة الخالق والذات الالهية:

أن توحيد الذات الالهيه لايعني توحيدها من أجزاء متعددة كما هو الحال في الكائنات المخلوقة ، فهو لايمكن ان يكون مركبا ، إذ لو تركب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود ذاته الواحدة ، ولأصبحت الذات الالهيه تحتاج إلى أجزائها ، فالله تعالى ذات واحدة لا تنقسم ولا تتشكل من عدة أجزاء(**51:ص48**) . ولانبالغ إذا قلنا أن القران الكريم ينطق بكامله بتوحيد الخالق الواحد الأحد ، وأن مبدأ التوحيد هو القضية الأولى التي تصدى لها القران الكريم لأثباتها . قال تعالى(ماأتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)(المؤمنون/91) .

وقال أيضا(لو كان فيهما الهه إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)(الأنبياء/22). فتوحيد الخالق هو العلة الأولى في التصور القراني في وحدة الكون والحياة والإنسان والعقيدة ، إذ أن آثار وحدانية تفيض بها مخلوقاته جميعها ، ومنها خلق السماوات والأرض ، فيخاطب الله تعالى في الآية السابقة جميع ملكات الإنسان الوجدانية والفعلية والروحية عن حقيقة وجود ذاته المستقلة ووحدانيته في تسيير السماوات والأرض، وأعطى لنا الدليل والبرهان القاطع من عالم الجمال والقبح ومن أوسع مجالاته(عالم السماوات والأرض)على أن الكون لا يمكن أن تتحكم به إلا إرادة واحدة وذات واحدة مستقلة لاله واحد لا شريك له ، اله لايتصف بذوات متعددة ، لأن النظام الكوني في بنيته قائم على التوازن والانسجام والترابط بين عناصره ، أي قائم على أسس وقواعد جمالية في خلقه ، وهذا يعود إلى جمال ذات الله الموحدة الخالقة لهذا النظام الكوني . فلو كان هذا النظام يعود إلى مجموعة ألهه أو إلى ذوات مختلفة لاله ، لتفكك الكون ، وتشوهت عناصره الجمالية وقاده ذلك إلى التدمير فتوحيد ذات الخالق كفيلة بتسويغ ذلك النظام وأعطائه صفة الجمال في سيره وبنيته وشكله.

وأنفرد سبحانه وتعالى بصفات لاتليق إلا به ، وتتميز بكونها ليست صفات نسبيه كما في المخلوقات ، بل هي صفات مطلقة وتتسم جميعها بالتوافق والانسجام كوحدة واحدة ألا وهي

أسماء الله الحسنى قال تعالى(هو الله الذي لا اله هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذي لا اله ألا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ،هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(الحشر/22_23_24). والصفة بشكل عام تدل على أسم يدل على الذات، وهي تحدد طبيعة خصائص ومميزات الذات ، ولما كان الله تعالى(ليس كمثله شيء)(الشورى/11) ، فهو منزه عن الشكل والصورة والمادة والجسم وعن الهيئة والتكوين، فلا شبيه ولا نظير ولا مكافئ له ، تعالى الله عن كل ذلك ، فالصفات المطلقة الخالقة للوجود لا يمكن أن تتماثل وتتشابه مع الصفات المقيدة المخلوقة . ومن هذه الصفات التي تدل على ذات الله(سبحانه وتعالى)هي على النحو الآتي :

-صفة القدم:

وهي من الصفات التي أنفرد بها سبحانه ، فهو الأول الذي ليس قبله شيء،أي أن الله ليس مسبوقا بشيء أو عدم . وقدم الله تعالى ذاتي ثابت ، ويقابل القدم الحدوث وهو مستحيل في حقه تعالى ، والدليل العقلي على ذلك ، فلو لم يكن الله تعالى قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث(**42:ص199**) . قال تعالى(هو الأول و الأخر)(الحديد/3) .

-صفتا الأزل والأبد:

لوجود ذات الله(سبحانه وتعالى)صفتان ، وهما من صفات الوجود السرمدي ، فهو لا أول له ولا أخر ، ويمتاز بوجوده في الماضي ويسمى أزلا ، ووجوده في المستقبل ويسمى أبدا . وقد تبدو هاتان الصفتان متناقضتان ، ألا أن حقيقة وجوده السرمدي تعبر عن صفات جوهرية ثابتة لله ، فلا فرق بين الأزل والأبد بالنسبة له ، فهما صفتان أوجبتهما الإضافة الزمانية لوجوب وجوده الحاضر دوما . وهذا ما يبدو في بعض الأسماء الحسنى ، الأول والأخر، الظاهر والباطن ، المحيي والمميت .

وأما مفهوم الزمن وهو من نتاج حركة المخلوقات فهو مخلوق أيضا أوجده الخالق لمخلوقاته، ولما كان الله هو الخالق الذي ليس مثله شيء ،فهو سابق للزمن وخارج عن نطاقه وهو الذي يتحكم بقوانينه ، ولهذا فالخالق معروض أمامه الزمن في ماضيه وحاضره ومستقبله . فالله أزلي وأبدي في الوقت نفسه.

-صفة الكمال :

وجود الذات الالهيه تقتضي أن توصف بأكمل الصفات ، لأن وجودها غير حادث أي هي في غنى عن الحاجة لغيرها وتتصف بالكمال المطلق والوجود الثابت اللذان لا يحتاجان الى الوجود الحادث الذي يسعى لبلوغ كماله(**47:ص242_243**) . قال تعالى(رفيع الدرجات ذو

العرش)(غافر/15) ، أي عالي الشأن والصفات كامل في كل شيء ومتفرد . فجميع صفات الكمال المطلق هي من صفات الذات الإلهية التي لانقص فيها بأي وجه من الوجوه(**42:ص327_328**) . وهي صفات لله تعالى وعلى اكمل وجه ، وأن كل ما نفاه الله تعالى عن نفسه فهي صفات تنافي كماله الواجب(**52:ص16_17**) .

-صفة الجمال:

لما كانت كمال الصفات الإلهية هو جمالها ، فأن الله تعالى هو الكمال المطلق في ذاته وهو الجمال المطلق أيضا . ومن المسلم به أن كل ماهو متغير فجماله متغير أيضا ، وكل شيء فان فجماله فان أيضا ، وكل ماهو باقي فجماله باقي أيضا ، فالباقي هو الله بجلاله وجماله المطلق ، قال تعالى(كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)(الرحمن/26_27) . ولما الله(ليس كمثله شيء)فأن صفاته وذاته وجماله ليس كمثلها شيء أيضا ، فهو المتفرد بجماله لاشريك له فيه ، وهو الجمال الأبدي الذي لا يتغير بتغير الظروف والأحوال ولا يختلف باختلاف الزمان والمكان ، فهو الجمال المطلق ، وهو علة كل جمال مشاهد على الأرض(**77:ص78**) . وهذا ما ذهب اليه أبن سينا في تفسيره للجمال الإلهي الذي لايمكن إدراكه حسيا فقط وأنما يدرك حدسيا في جمال مخلوقاته . والجمال الإلهي قائم بذاته، وغير خاضع لمعاييرنا ، بل نحن خاضعون لمعاييره ومقاييسه ونستطيع إصدار الأحكام على كل ماهو جميل وقبيح ، من خلال آثاره في مخلوقاته ، وترى الفلسفة الحديثة، أنه لابد من مثل أعلى للجمال تقاس به صور الجمال الأخرى ، فالجمال المطلق لله(عز وجل)يعد هو المثل الأعلى في كل شيء في الحق والخير والجمال، لقوله تعالى(لله المثل الأعلى)(النمل/0 6) .

-صفة الجلال:

من الصفات التي اتصفت بها الذات الالهيه ، هي صفة الجلال التي أنفرد بها الله تعالى والجلال هو(ما يتعلق بالربوبية والقدرة والعظمة والكبرياء والمجد ، فالجميل يبعث فينا الخشية والدهشة والذهول والرهبة)(**47:ص408**). ويذكر الغزالي عن صفة الجليل لله تعالى ، أن الله هو(الموصوف بنعوت الجلال، ونعوت الجلال هي العز والملك والتقديس والعلم والغنى والقدرة وغيرها ، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق ، ثم صفات الجلال أذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جمالا وسمي المتصف به جميلا)(**55:ص126**).

أن صفات الكمال والجمال والجلال هي صفات أزلية للباري(عز وجل)ملازمة لذاته ، وهي صفات مطلقة وثابتة له ، وهي تتصف بالوحدة والتناسق والانسجام لتعبر عن الذات الإلهية لله

ذو الجلال والإكرام. وهكذا أتسمت أسماء الله الحسنى بالتعبير عن ذاته المطلقة والتي تتصف جميعها بالحسن والجمال . وهي على النحو الآتي :

هو الله الذي لا اله إلا هو :

الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الأخر ، الظاهر ، الباطن ، الوال ، المتعال ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور ، جل جلاله(**1**:جمعت هذه الأسماء من صفحات القران الكريم) .

ويركز الباحث على ثلاثة منها للتعبير عن عمليات الخلق والتصوير والإبداع للكون والكائنات الأخرى وهي :

-صفة الخالق:

وهي صفة الله العليا في صنع وخلق العالمين(الدنيا والآخرة)وإبداعه لهما ، وهي اسم من أسمائه الحسنى ، قال تعالى(قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار)(الرعد/16) . وصفة الخالق تأتي من فعل خلق ، وتعني الإيجاد فقد يكون أيجاد الشيء من العدم ، وهو الإبداع وهي صفة لله تعالى وحده فيقول للشيء كن فيكون ، قال تعالى(بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)(البقرة/117) . وقد يكون أيجاد الشيء من مواد معينة بصور وأشكال مختلفة ، أي خلق الأشياء من أشياء سابقة لها ، قال تعالى(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)(المؤمنون/12) . وهذه الصفة يشترك بها الخالق ومخلوقاته وفي مقدمتها الإنسان ، ولكن شتان بين الاثنين ، حيث يكتسب الخلق الإلهي صفة الإعجاز في التقدير والتدبير والصنع والإتقان ، قال تعالى(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ظلال مبين)(لقمان/11) .

-صفة المصور:

ارتبطت عملية التصوير بالخلق والإبداع ، وهي صفة عليا لله(عز وجل)أيضا ، وتأتي بعد عملية الخلق والبراية ، فالخالق هو المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ، والبارئ هو الموجد للأشياء بريئا من التفاوت، والمصور هو المبدع لصور الأشياء(**69:ص48**) . قال تعالى (هو الخالق البارئ)(الحشر/24) .

أذن الجمال الإلهي الثابت والمطلق أرتبط بالذات الإلهية ، وهي الحقيقة الثابتة التي تعبر عنها جميع أسماء الله الحسنى التي تتصف بالحسن والخير والكمال ، وأن محاولة تشبيه الخالق أو تصويره أو تجسيده هي محاولة إخراجه عن ألوهيته ، لأن الله(ليس كمثله شيء) ، ومحاولة إنزاله منزلة مخلوقاته وتحديد جماله وتقييده بالجمال المتغير الفاني ، وهذا ما تعرض له أبو حيان التوحيدي لجماليات الصورة الالهيه على أنها لا تدرك بالإبصار وانما تدرك بالبصائر . ومحاولة إخضاع جماله المطلق الثابت لتصورات المخلوق ، وهذا ما يرفضه القران الكريم رفضا قاطعا ، وتجعل الإنسان يقع في واحدة من أعظم الكبائر وهو الشرك بالله ، قال تعالى(وأذ قال لقمان لأبنه وهو يعضه يا بني لا تشرك بالله أن الشرك لظلم عظيم)(لقمان/13)، فالظلم ظلمات وقبح وهو الشرك ، والحق نور وعدل وهو التوحيد ، وقد ذكر(أبن القيم)عن معنى التوحيد بقوله(أن لايعطي المخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه)(**4:ص263**) .

-صفة البديع:

ارتبطت عملية الخلق والتصوير بالأبداع ، وهي صفة من صفات الله تعالى واسم من اسمائه الحسنى، وهو الذي ابدع كل شيء ، واوجد الأشياء من العدم بقول (كن) فيكون ، قال تعالى (بديع السماوات والأرض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) (البقرة/117). كما انه ابدع في تصوير الأشياء كلها ، وجعل لها من الجمال والكمال ما يناسبها ، فالنظام الكوني بديع في ترتيبه وانسجامه والأرض والطبيعة بديعة في جمالها ومشاهدها الخلابة خلال تتابعها الزمني بين مشهد الفجر والعصر والمغرب والعشاء ، بالإضافة إلى تنسيق عناصرها لتوحي بالجمال المطلق لخالقها ، لقد ابدع الله في تصوير خلق الإنسان وجعل الحسن وجمال الصورة والشكل في ملاحة وجه وتناسق أعضائه ، كما جعل الجمال الباطن في ذاته من أخلاق وصفات حميدة ، لقد ابدع الله تعالى كل شيء ، ولم يكن له ولد ولا صاحبة ولا شريك في ذلك ، لقوله تعالى (بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) (الأنعام/101) .

ب- الوحدة في الايات القرانية:

يعد القران الكريم الإعجاز الرباني والدليل على وحدانية الله تعالى ، حيث سمة الوحدة في شكله وأسلوبه وغايته وأحكمت آياته بإحكام بليغ ليكون دليلا على جماليات وحدته ، قال تعالى(ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)(هود/ 1) .

ومن المعروف أن القران الكريم لم ينزل مرة واحدة أو دفعة واحدة بجميع آياته على الرسول الكريم ، وانما استغرق نزوله(23 سنة)وهذا يعني بأن الناس لم ينتظروا اكتمال نزوله بالكامل ليؤمنوا به ، بل آمنوا ببعض ما سمعوه من ايات الذكر الحكيم ، وأكتفوا بها ، وهذا يعني أن كل آية قرآنية تدل على جميع الايات ، وهي واحدة في جوهرها وشكلها البلاغي ، وهذا هو الكمال في وحدة القران الكريم ، والكمال من الجمال ، والقران الكريم لايفصح عن الجمال في اجتماع آياته أو اجتماع أجزائه فحسب وأنما في الأجزاء نفسها وفي الآية الواحدة ، فجاءت آياته جمال على كمال ، وبهذا يتضح سر من أسرار الإعجاز القرآني في بلاغة القران الكريم.

ج- وحدة الكون(السماء والأرض):

يظهر مفهوم الوحدة كسمه جمالية في النص القراني من خلال المفاهيم القرانية كلها ، فنراها شاخصة في جميع سمات خلق الكون وآفاقه ، فمن دلائل وحدة الكون هو انبثاقه من مادة واحدة حادثة ومتغيرة ، لقوله تعالى(أولم يروا الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)(الأنبياء/30) . ويذكر(الفخر الرازي)عن هذه الآية الكريمة(المراد من الرتق كون تلك المواد متشابهة في الماهية والحقيقة ... والمراد بالفتق هو اختصاص كل واحد منها بطبع معين وشكل معين ، وصفة معينة وحيز معين)(**34:ص158**) . ولما كان الكون من مخلوقات الله(جل

جلاله) ، فهو مالك له ، وله حق التصرف به ، فهو أنشأه من مادة واحدة وهو ينهيه، ومصيره ومرجعه بيده ، قال تعالى(ولله ملك السماوات والأرض والى الله المصير)(النور/42). وقال تعالى(ولله مافي السماوات ومافي الأرض والى الله ترجع الأمور)(آل عمران/109).

ونستدل من ذلك، أن الكون حادث محدث متغير أي له بداية وله نهاية ، وبالتالي فجماله محدث ومتغير، وليس أزليا أو أبديا ، مثلما هي أجزائه كمصير حياة الإنسان فلها ميلادها وهي سائرة إلى الموت لقوله تعالى(كل شيء هالك ألا وجهه له الحكم واليه ترجعون)(القصص/88) وقال تعالى(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب)(الأنبياء/104) وهذا يعني أن ظهور الكون هو بيد خالقه ، ومصيره يعود إليه أيضا ، فيكون مفهوم الوحدة واضحا في أن كل الأمور ترجع إلى من أنشأها وأوجدها أول مرة .

أن الكم الهائل من العناصر الكونية(سماء وكواكب وشمس وقمر وأرض)لايمكنها أن تسير بلا نظام وبلا وحدة أو رابطة تربطها في سيرها . ولو حدث ذلك لعمت الفوضى وأدى ذلك إلى فناء الكون ، قال تعالى(أن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن امسكهما من أحد من بعده)(فاطر/41) .

أن جاذبية كل كوكب اتجاه الآخر ، واتجاه مجموعته دليل على التماسك الكوني ودليل على وحدته ووحدة خالقه. وهذا النظام الكوني في الحقيقة لا يتحرك بعشوائية ، وأنما حركته موجهة وهادفة في قصدها وآثارها ونتائجها . **(44:ص21)** . والنص القراني قد عبر عن هذا المفهوم، لقوله تعالى(يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)(البقرة/189). أي أن الكون مكلف بتقديم المنفعة والمتعة للأنسان، فالمنفعة تظهر في ضبط الإنسان مواقيت زمنه الخاص والتأريخ العام. والمتعة تظهر في تمتع الإنسان بالجمال الأخاذ للكون. وفي تقديره وتقيمه للجمال المتغير لأجزائه ، قال تعالى(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)(الملك/5) .

وحركة الكون هذه منضبطة ومحكومة بسنن ثابتة ، تجعل جميع عناصره خاضعة لها ولو لم تكن هذه السنن ثابتة لما أمكن العلماء أن يتنبئوا بحوادث ووقائع كونية قبل أن تحدث وتقع(**4 4 :ص27)** . قال تعالى(فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)(فاطر/43). والنصوص القرانية كثيرة حول دقة النظام الكوني ، ولما كان النظام(تنظيم العناصر)هو سمة للوحدة ، فهو بالتالي سيكون جميلا وموحيا للجمال ، ولسعته فأنه سيوحي أيضا إلى الجمال المطلق لخالقه . وتظهر هذه السمات الجمالية في السماء ، قال تعالى(والسماء ذات الحبك)(الذاريات/7) ، أي ذات النظام الدقيق والجميل . وتظهر هذه السمة في نظام المجموعة الشمسية ، لقوله تعالى(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في

فلك يسبحون)(يس/8 3_40) . وغيرها من النصوص القرانية التي تبرهن على وحدة النظام الكوني ودقته وجماله ، الذي يتصف بالتوازن والترابط والتناسق والحركة(**70:ص118**) .

والآيات القرآنية بالمشاهد والصور المتنوعة للسماء والكون لتعبر عن أسمى ايات الجمال والكمال في وحدة النظام الكوني، فالقران الكريم(يوجه النفس إلى جمال السماء والى جمال الكون كله، لأن أدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لأدراك جمال خالق الوجود)(**70:ص40**). فلو فكرنا وتدبرنا جمال هذا الوجود الكوني ووحدة نظامه، لأدركنا الإبداع والإتقان فيه، وأدركنا قيمة وروعة وإبداع الخالق(**45:ص146**). فالسماء مثلا، فأن الله تعالى قد خلقها ورفعها بغير عمد، قال تعالى(أفلم ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج)(ق/6).كما جعلها لتكون للناظرين كالأفق الواسع والمزين بالكواكب والنجوم . وجعل لونها يتغير ويتبدل على مدار الساعة والأيام والفصول، فما نراه من ألوان في ساعة الظهر أو العصر أو الغروب أو الليل وترجع ذلك إلى موقع الأرض بالنسبة للشمس،والنظام الكوني المتقن الذي تسير به الأرض حول الشمس، أن حالة التنوع والتدرج اللوني واللذان يظهران في السماء،قد أكسباها سمة الجمال ، فبالإضافة إلى سعتها وارتفاعها وطريقة بنائها ووحدة النظام الكوني الذي تسير به الكواكب حول نفسها وحول بعضها البعض، أقسم الله تعالى بالمشاهد وعناصر الكون المكونة للسماء لتكون شاهدا على إبداعه وجمال خلقه،(فهي مشاهد تجذب النظر وتثير الحس وهي تهدف إلى ربط الإنسان بالكون والحياة وتلمس مظاهرهما، واستقصاء أسرارهما لاستجلاء آثار القدرة ومظاهر الإبداع بالتعقل والتبصر)(**68:ص18**) . قال تعالى(والسماء والطارق)(الطارق/1)،وأقسم بالشفق،قال تعالى(فلا أقسم بالشفق*)(الانشقاق/16) ، والشفق هو احمرار السماء وقت الغروب ، كما أقسم بالفجر،قال تعالى(والفجر وليال عشر)(الفجر/1) ، كما أقسم بالليل والنهار،قال تعالى(والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى)(الليل/1_2) . كل ذلك لينبه الإنسان إلى مرجعية النظام الكوني إلى وحدة خالقه الذي يقسم بخلقه ليبرهن على عظمته ووحدة ذاته الإلهية .

لقد خلق الله تعالى السماء والأرض والقمر والشمس والكواكب والنجوم الأخرى وجعلها تسير بنظام متقن ومنحها جمالا وروعة لتبهج الناظرين وتسر النفوس قال تعالى(وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم)(فصلت/12) ، أي جملنا السماء بنجوم مضاءة في الليل بنظام مقدر من لدن عزيز عليم . وقال تعالى(وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)(الصافات/6) . والزينة هنا تعبير يوحي بجمال خلق الله وأن الجمال جزء من بنية الكون وهي حالة أصيلة فيه(2 4:ص33) ، وأن مواقع هذه الكواكب المرتبة ترتيبا منظما هو الذي أوحى لنا بالجمال .

* الشفق : ساعة الغروب واحمرار السماء.

وقد أقسم الله تعالى بالقمر والشمس والأرض وبأوقات النهار والليل، لينبه الإنسان على عظمة خلقه وجماله في وحدة نظامه الكوني ، لقوله تعالى(والقمر إذا أتسق)(الانشقاق/18). وهنا يظهر جمال القمر في السماء أثناء الليل في جميع حالاته منذ ظهوره على شكل هلال حتى اكتماله ليصبح بدرا ويكون شاهدا على جمال الخالق عندما تتجمل وتتزين السماء به. كما قال تعالى(والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها)(الشمس/1_6) . وهنا تظهر الشمس بقرصها الدائري منذ بزوغها في الفجر، وسطوعها في ساعة الضحى والظهيرة وتغيير ألوانها أثناء ذلك وصولا إلى وقت العصر والغروب واحمرارها أثناءه ، كل ذلك يثير إحساس الإنسان بجمالها ، ثم تتحول أنظاره إلى جمال القمر والليل ، والى جمال الأرض، لتثير مخيلته وحسه وعاطفته بما يثير تذوقه الفني والجمالي لوحدة النظام الكوني للخلق الإلهي العظيم*.

أن كل جزء وكل كوكب في الكون تميز بجمال معين ، وما أصبح الكون جميلا بعناصره هذه فحسب وأنما بفضل الأسلوب المنظم الذي تتوحد فيه تلك العناصر والكواكب ، قال تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك)(فاطر/13) . وأن هذه العناصر الكونية ما كانت لها أن تتوحد إلا بفضل إرادة واحدة عليا مبدعة ، لذا فأن توحيد الخالق هي التي أوجبت على الكون نظاما موحدا وجعلته سائرا لغاية موحدة علمها عند خالقها .ليكون بالتالي الكون دليلا على وحدانية الله تعالى ، ويكون خاضعا له بالتسبيح والصلاة . قال تعالى(ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون)(النور/41) .

* يراجع ص من البحث ، حول رأي الفلاسفة المسلمين اتجاه خلق الكون .

د- وحدة الحياة والموت:

يشير المفهوم القرآني إلى أن وحدة الحياة ترجع إلى الأصل الذي نشأت منه واعتمدت عليه في نموها وتطورها ، قال تعالى(وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا تؤمنون)(الأنبياء/30)، ويعد الماء العنصر الرئيسي والأساس في تكوين جميع الكائنات الحية والتي تدين له بالاستمرارية والنمو في الحياة .

والحياة في القران الكريم نوعين ، الأولى حياة الدنيا والثانية حياة الآخرة ، فحياة الدنيا لها جوانبها وأوجهها العديدة ، وينظر إليها بنظرة شمولية موحدة تحيط بجميع مفرداتها ، ويحث الإنسان للسعي فيها ليديم صلته معها بصورة متوازنة وبشكل إيجابي. وبث الله سبحانه وتعالى في هذه الحياة كل مظاهر المتعة واللذة والجمال وخلق الإنسان بما آتاه من حواس معروفة قادرا على الإحساس بهذه المتعة وهذا الجمال.قال تعالى(وأبتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولاتنسى نصيبك من الدنيا)(القصص/77).وجعل الله تعالى هذه المتع واللذات الحسية في جميع عناصرالطبيعة (كالماء والجبال والوديان والسماء والنبات والحيوان) ،ومن مظاهر وحدة الحياة هو أن الله(سبحانه وتعالى)خلق الحياة من أصل واحد مشترك تعتمد عليها في تكوينها ونموها، ألا وهو الماء ، الذي يعد العنصر الأساس في تكوين جميع الكائنات الحية وتدين له بالاستمرارية والنمو والتطور، وهو سر الحياة سخره الباري(عز وجل)لكي يحقق للإنسان غرضين رئيسين هما المنفعة والمتعة، قال تعالى(وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار)(إبراهيم/32) . ومن منافع الماء أن أستقر الإنسان بجوار الأنهار وبنى مساكنه الأولى منه وأنشأ حضارته على ضفافها، ولم تقتصر منفعتها على الجوانب المادية فحسب وأنما أغنت الجوانب المعنوية أيضا ، فمنحت الإنسان إحساسا بالتأمل والخيال والجمال. وساهمت البحار ايضا في ذلك بأتساعها وحركة أمواجها الإيقاعية، ففيها الانتفاع والاستثمار وفيها اللذة والجمال وفيها الحركة التجارية ، وفيها الفكرة والاستلهام(**68:ص85**). قال تعالى(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون)(النحل/14) . ويذكر الزمخشري حول الحلية المذكورة في الآية الكريمة بأنها(اللؤلؤ والمرجان)(**43:ص82**) .وهذه الحلية فيها قيمة مادية وجمالية تكمن في ندرتها وألوانها وأشكالها وملمسها فيتجمل بها الإنسان ويضفي على مظهره الزينة والجمال ، ويعني هذا بأن الحلية هي نعمة أنعم بها الله تعالى على الإنسان ليظهر بأحسن صورة وأجملها ، وهي نعمة مادية ومعنوية لها تأثيرها في النفس وتدرك بالحواس(**68:ص256**) .والماء هو أصل الحياة ، فبالإضافة إلى منظره الأخاذ للأبصار والأفئدة والحواس ، فأنه من مسببات وجود النبات ، وهو مظهر من المظاهر الجمالية أيضا في الحياة على الأرض ، قال تعالى(وترى الأرض هامدة فأذا أنزلنا

عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)(الحج/5) . وبالرغم من المنفعة المادية التي يقدمها النبات فأنه يتميز بجمال أشكاله وألوانه وطعمه ومنها الثمار والخضراوات ...إلى آخره، قال تعالى(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)(فاطر/27). وعبرت الآيات القرآنية عن جمال النبات بلفظة(الزينة) ، قال تعالى(أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا)(الكهف/7) ، كما عبرت بلفظة(البهجة) ، قال تعالى(حدائق ذات بهجة)(النمل/60) ، وقال تعالى(وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج)(ق/7) .ففي الآية الأولى الزينة تعني الجمال، وهي تدخل المتعة والسرور إلى النفس **(43:ص92)**، وأما في الآيتين الأخيرتين، فالبهجة تعني،حسن اللون وظهور السرور والزهو فيه **(35:ص63)** .

والماء من مسببات الحياة لكائنات أخرى ، كالحيوانات التي جعلها الله(سبحانه وتعالى)مظهرا من مظاهر الجمال على الأرض أيضا . وتتمثل بها القدرة الإلهية في الخلق والإبداع ، فهي تحقق غرضين ، الأول مادي ، تحقق المنفعة المادية للإنسان ، قال تعالى(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)(النحل/5) . وفي آيات أخرى تدل على المعنيين من منفعة مادية وزينة جمالية ، قال تعالى(والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون)(النحل/8) .

إذن المنفعة والمتعة هما المفهومان اللذان تعرضت لهما الآيات السابقة لتحققان الإحساس بالجمال عند الإنسان ، وأن الزينة والجمال الناتج عنهما هو نعمة إلهية أنعم بها الله على البشر ليدركوا جمال الخالق في خلقه. ولنتأمل هذه الآيات في وصف الحياة الدنيا وعناصرها الجمالية والتي كان الماء السبب الرئيسي في وجودها ، قال تعالى(وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوات دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه أن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)(الأنعام/99) . فهذه الآيات توجه وتذكر الإنسان بالتأمل والتمتع بالجمال المبثوث في هذه الكائنات وبهذه اللوحة الطبيعية المتناسقة **(70:ص21)**.

والجمال مظهر من مظاهر الحياة الدنيا ، وقد حث الله(سبحانه وتعالى)الإنسان على التمتع بجمال الحياة وزينتها بما هو مشروع بشرط الاعتدال**(48:ص36)** . قال تعالى(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)(الأعراف/31_32) . ويعني ذلك أن الله(سبحانه وتعالى)قد منح الإنسان حق التزين والتجمل ، وجعله أن يكون موحدا ومنسجما مع جمال بقية الكائنات الأخرى وجمال الكون والحياة .

وهناك حياة الآخرة من(جنة ونار)والتي تقابل حياة الدنيا الفانية . ولنتأمل ونقارن بين الآيات السابقة وهي تصف نعيم وزينة الحياة الدنيا ، والآيات التي تصف نعيم الجنة في الحياة الآخرة، قال تعالى(والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم . ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة. متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب و أباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون. وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . ألا قيلا سلاما سلاما)(الواقعة/10_26). فسوف نجد مدى التقارب في وحدة الخلق بين الحياتين(أو العالمين)فيظهر نعيم العناصر الحياتية في الحياة الآخرة منسجما ومتناسقا مع نعيم حياة الدنيا من حيث المفردات والمكونات ، منها السرر والولدان والأواني والأباريق ولحم طير وفاكهة متنوعة واللؤلؤ...إلى أخره،وجعل الجنة هي أقصى درجات الكمال والجمال والبهاء عند الله ليسر بها نفوس المؤمنين به ، وجعلها مكافئة لمن عمل صالحا وأتقى .

وهناك جوانب أخرى في الحياة الدنيا تمثل جوانب قبيحة معنوية مثل الأفعال المشينة والأخلاق السيئة وجوانب مادية مثل البراكين والنار الحارقة والأمراض والأوبئة والمياه الأسنة والقاذورات وزبد البحر إلى آخره من أنواع القبح في الحياة الدنيا ويقابلها في حياة الآخرة التي تمثل هذه الجوانب القبيحة مثل نار جهنم والحميم وشجرة الزقوم وأنواع العذاب الأخرى ، كل ذلك يدل على توجب الوحدة في عمل الخالق بين الحياتين وأنهما من صنع صانع واحد وخالق واحد .

هـ- وحدة الإنسان:

تظهر وحدة الإنسان بدلالات جمالية وحسية في آيات كثيرة ومتنوعة ، وتحدد هذه الدلالات على أن الإنسان قد خلق من مادة واحدة ، ألا وهي(الطين)وهو(التراب الممزوج بالماء)ليبقى بحاجة إليها في حياته إلى يوم مماته ، قال تعالى(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)(المؤمنون/12) . كما تبرز وحدة الإنسان أنه خلق من نفس واحدة وهو سيدنا آدم وخلقت حواء من ضلعه ، قال تعالى(هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها)(الأعراف/189). وشرف الله(جل جلاله)الإنسان ، أن(خلقه بيده الكريمة ونفخ من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له وتعليمه أسماء الأشياء)(**15:ص11**) قال تعالى(وأذ قال ربك للملائكة أني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت منه من روحي فقعوا له ساجدين)(البقرة/8 2_29) . وتكريم الخالق للإنسان أن شرفه بهذه المكانة المرموقة بين الملائكة والجن والشياطين وأمرهم بالسجود له ، أنه سيكلفه بأمر غاية في الأهمية ، وهو ليكون خليفته في الأرض ، وليقوم بدوره في أعمارها وأصلاحها وتطبيق الشريعة الإلهية العادلة، قال تعالى(وأذ قال ربك أني جاعل في الأرض خليفة قالوا . أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن

نسبح بحمدك ونقدس لك قال أني أعلم ما لا تعلمون)(البقرة/30) . وسخر الله للإنسان كل مافي السماوات والأرض لكي يقوم بهذا الدور .

وهنا تظهر الوحدة في تكليف الإنسان من قبل البارئ(عز وجل)بأعمار الأرض وتزيينها بكل أنواع الجمال البيئوي(المادي_الحسي)(كالعمارة والمتنزهات والغابات والحدائق والمواد المصنعة...إلى آخره) ، وبالجمال المعنوي بنشر الفضيلة وأحقاق الحق والعمل بالخير للعدل والسلام . أي أن الإنسان مكلف بإضافة الجمال والإبداع المصنع من قبله الى الجمال والإبداع الطبيعي للخالق البديع وأمره أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، أي يعمل بكل ما هو حسن وجميل وينهى عن كل ما هو شر وقبيح ، وهنا الأمر بالمعروف هو في الحقيقة نهي عن المنكر والنهي عن المنكر ، هو أمر بالمعروف بالحقيقة ، فتكون الوحدة بالشروع والعمل بالفضائل ومرجعها إلى العمل بالشرع الإسلامي الذي يعود إلى الواحد الأحد .

وتبرز وحدة الإنسان الجمالية في الصورة والهيئة من الأمور التي أشار إليها القران الكريم في أكثر من آية كريمة ، قال تعالى((خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير)(التغابن/3) . وتتحقق وحدة صورة الإنسان ، بحسن صورته وهيئته التي تدل على تناسق وانسجام أعضائه في الوظيفة والشكل ، وأن كل عضو منه يحتاج إلى الآخر. وجمال صورة الإنسان في جمال تقويمه،التي خلق عليها .قال تعالى(وخلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (التين/4). وهو ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي في رأيه عن جمال الشيء الذي يظهر في تنظيم أعضائه وأجزائه بصفة لائقة ، وهو ما ينطبق على حسن تنظيم ووحدة الإنسان من الناحية الوظيفية والجمالية*.

ومن جماليات صورة وهيئة الإنسان ، أن الله(سبحانه وتعالى)خلقه كما ذكرت الآية الكريمة السابقة(الحجر/28_29)من التراب مضافا إليه الماء فتتكون مادة عضوية وهي الطين فإذا تترك هذه المادة لتتفاعل وتصبح حمأ مسنونا ثم تجفف فتصبح صلصالا ، وبهذا تتم عملية تقويم صورة الإنسان بمراحل خمسة(الخلق ثم التسوية ثم التعديل ثم التصوير ثم التركيب)(**36:ص205**) . قال تعالى(الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك)(الانفطار/7_8) . فتتكون هيئة جسم الإنسان الذي يمثل الجانب المادي الحسي والمنظور ، ولها صورة وشكل،ثم يدخل الباري(عز وجل)الروح في هذا الجسم والتي تمثل الجانب اللامادي واللامنظور من تكوين الإنسان . وعندما يموت الإنسان فأن جسده يدفن في الأرض،فيتحلل إلى مواده العضوية المأخوذة من أديمها،وترجع الروح(الطاقة المحركة) للجسم إلى باريها ، وفي هذا وحدة في المسار الدائري بين الحياة والموت ، حيث كل شيء يرجع إلى من أنشأه وأحدثه أول

* يراجع ص من البحث /حول رأي الفلاسفة المسلمين أتجاه الجمال الآنساني.

مرة وهو الله(جل وعلا) قال تعالى(هو الأول والآخر)(الحديد/3) ، وقال تعالى (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة)(الكهف/48) .

ويظهر المفهوم القرآني في أن دين التوحيد(الإسلام)قد أحترم الجانبين عند الإنسان المادي والروحي وسعى إلى أن يكون منهجه وسطا بينهما تعبيرا عن وحدة الرؤية الإسلامية الشاملة والمتوازنة للحياة . وعندما خلق الله(سبحانه وتعالى)الإنسان من مادة وروح إلا ليكون قادرا على إدراك الوجود المادي بقواه الحسية وأدراك الخالق بقواه الروحية والعقلية ، وبالتالي تميز بين الجمال النسبي المحدود للإنسان ولبقية المخلوقات وبين الجمال المطلق لله(عز وجل) .

أن سمة الوحدة الجمالية والتي كانت حاضرة في الكون والطبيعة والحياة ، هي نفسها قد تمثلت في جسم الإنسان وروحه ، قال تعالى(وفي الأرض آيات للمؤمنين ،وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(الذاريات /20_21). والحقيقة أن شعورنا بالجمال ليس الطبيعي منه فحسب بل الجمال الفني أيضا ، يرتبط دائما بشكل جسم الإنسان وجماله ، فكل شيء يحدث كما لو كان مرتبطا به ويتفق معه بنظرة شاملة(**11:ص429**) .وهكذا أصبحت سمة الوحدة من المعايير الأساس في عملية التذوق الفني والجمالي لجمال الكون والحياة والإنسان، وللجمال المطلق لله(جل وعلا) .

ز- وحدة العقيدة :

تبرز وحدة العقيدة في النص القرآني من خلال توحيد الخالق(عز وجل) ، فالتوحيد هو القاعدة الأساس التي تنطلق منها العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي المتمم والمكمل للأديان السماوية الأخرى، وأن الله أختار الإسلام كعقيدة وشريعة ينظم بها الإنسان حياته ، قال تعالى(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(آل عمران/58) . قال تعالى(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)(المائدة/3). ووحدة الاعتقاد هذه تجعل الإنسان منسجما مع توحيد الخالق ووحدة الكون والحياة والإنسان وتسعى إلى توحيد تصوراته مع تصورات بقية الناس ، وكفيلة بتحرير الناس وتخليصهم من التعددية في الاعتقاد والازدواجية في التصور ، وعقيدة التوحيد موجهة الى كافة الناس بمختلف اشكالهم والوانهم ولغاتهم ، قال تعالى(وما أرسلناك ألا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(سبأ/8 2) .

كما أن هذه العقيدة تهدف إلى إزالة الفوارق بين الناس(الشكلية أو العرقية أو العنصرية)وابعادهم عن حالة التجزئة والتنافر وجعلهم أمة واحدة وجعل المؤمنون بها أخوانا ، قال تعالى(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم أذ كنتم أعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم

بنعمته أخوانا)(آل عمران/103) . وقال تعالى(وخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم)(الحجرات/13).

ومن مظاهر وحدة العقيدة في المفهوم القرآني ، هي وحدة الصف عند المسلمين في كل الظروف والأحوال، قال تعالى(أن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)(الصف/4) . ومن المظاهر الأخرى هي وحدة الطقوس والشعائر في هذه العقيدة ، حيث يبرز المشهد الجمالي للمصلين وعلى شكل صفوف مرصوفة ومنتظمة بالآتجاه نحو القبلة(الكعبة المشرفة)كي تكون مركز استقطاب في توجهات جميع المصلين في جميع أنحاء العام . قال تعالى(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة)(البقرة/150) .

وتعبيرا عن وحدة الصف في الصلاة ، حث النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم)على صلاة الجماعة، لأنها خير من صلاة الفرد ب(27 مرة) ، وورد عن النبي الكريم أنه قال(سووا صفوفكم فأن تسوية الصف من تمام الصلاة)(رواه مسلم وبخاري وأبن مسلم وأبن ماجه).

ومن المظاهر الأخرى لعقيدة التوحيد عند أداء فريضة الحج هو توجه المسلمون من شتى بقاع الأرض باتجاه مركز استقطاب واحد ألا وهو بيت الله الحرام ، فتظهر سمة الوحدة كمفهوم جمالي في أتجاه المسلمين بالحركة والمسيرة باتجاه واحد بحركة مركزية ذات بؤرة واحدة(نقطة تجمع واحدة)مندمجة بوحدة المبادئ والقيم والأيمان بتوحيد الخالق(عز وجل) قال تعالى(وأذن بالناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)(الحج/27).وعند العودة تأخذ الحركة شكلها واتجاهها الشعاعي كأنها شعاع نور رباني ينتشر إلى الناس أجمعين .

وتزداد سمة الوحدة الجمالية في وحدة المسلمين في شكلهم والوانهم واتجاههم وفي توحدهم لعبادة الإله الواحد ، وهم يرتدون ملابس الإحرام البيضاء الموحدة وذلك تعظيما لشعائر الله، قال تعالى(ذلك ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب)(الحج/2 3) . ويكون الطواف حول الكعبة المشرفة بحركة دائرية موحدة الاتجاه من المشاهد التي تثير الإحساس بجمال وحدة العقيدة الإسلامية ، تتألف فيها القلوب وتتوحد بالالتجاء والأيمان برب البيت المعمور، قال تعالى(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)(البقرة/125) .

المبحث الرابع: النتائج والاستنتاجات

أن ممارسة عملية التذوق الفني والجمالي لسمة الوحدة في القرآن الكريم بعدها واحدة من الأسس والقواعد المهمة في تكوين الآيات القرآنية ، أفصحت عن مفاهيم جمالية عديدة اتجاه وحدة الخالق والذات الإلهية ووحدة الآيات القرآنية ووحدة خلق الكون(السماوات والأرض)ووحدة خلق

الحياة والموت ووحدة خلق الإنسان ووحدة العقيدة.وخلص البحث إلى النتائج والاستنتاجات الآتية :-

أ-وحدة الخالق و(الذات الإلهية):

تعرف البحث على أن القرآن الكريم ينطلق من مبدأ واحد أساس هو توحيد الخالق ، وأن توحيده تعالى هو السبب الأول والرئيسي في التصور القرآني لوحدة الآيات القرآنية ووحدة الكون والحياة والإنسان والعقيدة. وأن الخالق يمتلك صفات تدل على ذاته السرمدية والتي ليس لها نظير ولاشبيه ولا مكافئ ، فهي صفات مطلقة خالقة للوجود ، ومن هذه الصفات هي:

١- صفة القدم ، وهي من الصفات التي أنفرد بها سبحانه وتعالى فهو الأول الذي ليس قبله شيء .

2- صفتا الأزل والأبد ، الأولى تعني وجوده في الماضي ، والثانية تعني وجوده في المستقبل، وهما صفتان أوجبتهما وجوده الحاضر دوما ، فهو(الأول والآخر) .

3- صفة الكمال،وهي الصفة التي تمثل الوجود الثابت لله(تعالى) وتمثل الكمال المطلق لذاته(جل وعلا)والتي تكون في غنى عن الحاجة لغيرها.

4- صفة الجمال ، ولكون الذات الإلهية تمثل الكمال المطلق لله تعالى فهي تمثل الجمال المطلق له أيضا. وهو الباقي بجماله الأبدي الذي لا يتغير ولا يختلف باختلاف الزمان والمكان ، وهو علة كل جمال مشاهد على الأرض . وهو غير خاضع لمعاييرنا ، بل المخلوقات خاضعة لمعاييره ومقاييسه ، وهو المثل الأعلى في إصدار أحكامنا على كل شيء في مجال الحق والخير والجمال .

5- صفة الجلال ، وهي من الصفات التي انفرد بها الله تعالى أيضا ، والتي تمثل ما يتعلق بالربوبية والقدرة والعظمة والكبرياء والمجد والعزة والملك والتقديس والعلم والغنى ، وتثير فينا الخشية والذهول والرهبة، كما اتسمت بقية أسماء الله الحسنى بالجمال والحسن في التعبيرعن جمال الذات الإلهية المطلقة .

وقد ركز الباحث على ثلاثة منها للتعبير عن عمليات الخلق والتصوير والإبداع ، وهما:

6- صفة الخالق، وهي الصفة العليا في خلق وصنع العالمين(الدنيا والآخرة)بكلمة واحدة(كن)فيكون ، وهي صفة أيجاد الشيء من العدم ، والتي لا يمكن لغيره تعالى القيام أو يشترك بها معه .

7- صفة المصور ، وهي الصفة التي أرتبطت بعملية التصوير في عملية الخلق ، وتأتي بعد عملية الخلق والبراية ، فالله هو مصور الآشياء كلها.

8- صفة البديع ، وهي الصفة التي ارتبطت بعملية الآبداع وتأتي بعد عملية الخلق والتصوير، فأالله أبدع في كل شيء وجعل له من الجمال والكمال ما يناسبه ، ولم يكن له شريك في ذلك. واتصفت جميع هذه الصفات المطلقة لله(سبحانه وتعالى)بالوحدة والانسجام والتناسق والتوازن والثبات لتعبر عن الذات الإلهية له(جل وعلا) .

ونستنتج من ذلك أن محاولة تشبيه الخالق أو تصويره أو تجسيده هي محاولة إخراجه عن ألوهيته، ومحاولة إنزاله منزلة مخلوقاته المحدثة وتحديد جماله المطلق بالجمال المتغير الفاني، وتحديده بتصورات المخلوق ، وهو ما يجعل الإنسان يقع في أعظم الكبائر وهو الإشراك بالله.

ب- وحدة الآيات القرآنية :

تعرف البحث على واحدة من أهم أسرار الأعجاز القرآني في بلاغته وهي أن كل آية في القرآن الكريم تدل على جميع آياته وهي وحدة واحدة في شكلها البلاغي ، وهذا يدل على الكمال في وحدة آياته أو اجتماع أجزائه فحسب، وأنما الجمال في الأجزاء نفسها وفي الآية الكريمة الواحدة .

ج- وحدة الكون(السماء والأرض):

تعرف البحث على واحدة من أهم دلائل وحدة الكون هو انبثاقه من مادة واحدة حادثة ومتغيرة، وهو مخلوق له بداية وله نهاية ، ومرجعه ومصيره يرجع إلى خالقه الذي أنشأه أول مرة. وأن التماسك الكوني بين أجزائه دليل آخر على وحدته ووحدة نظامه ، ولما كان كل كوكب وكل جزء من أجزائه تميز بجمال معين لهذا أصبح الكون جميلا أيضا بفضل ذلك وبفضل الأسلوب والنظام الذي تتوحد فيه تلك الكواكب وتلك الأجزاء وأن حركتها المنظمة موجهة وهادفة ومنضبطة بسنن ثابتة أدت الى تقديم المنفعة للإنسان وذلك من خلال تنظيمه للتأريخ العام وضبطه للزمن الخاص ، وجعلت العلماء يتنبئون بحوادث ووقائع كونية قبل حدوثها .كما أدت الى تقديم المتعة الجمالية للإنسان عندما يتأمل هذا النظام الدقيق للكون، الذي تميز بوحدة الأسلوب في حركته وتوازنه وترابطه وانسجامه ولولا هذه الوحدة في تكوينه لعمت الفوضى وأدى ذلك الى فنائه . ولسعة هذا الكون وجماله فأنه يوحي الى الجمال المطلق لخالقه .

د- وحدة الحياة والموت:

تعرف البحث على أن وحدة الحياة ترجع إلى أنها نشأت من أصل واحد مشترك ألا وهو الماء، وقد سخر لكي يحقق للإنسان المنفعة المادية والمتعة والجمالية بما يثير التأمل والخيال، وهو العنصر الأساس في تكوين جميع الكائنات الحية وتدين له بالاستمرار بالنمو والحياة. مثل النبات الذي تميز بجمال أشكاله وألوانه وطعمه اللذيذ بما يحقق للإنسان المتعة المادية والمتعة الجمالية ، والحيوان الذي جعله الله تعالى مظهرا من مظاهر الجمال على الأرض ، ويحقق للإنسان نفس

الغرضين السابقين ، وهما نعمة إلهية أنعمها الله(سبحانه وتعالى)على الإنسان ليدرك جمال الخالق في خلقه . وتظهر الوحدة في التفاعل العميق بين هذه الكائنات ، وفي الحاجة إلى المدبر لحدوثها واستمرارها على الحياة في ماهيتها وصفاتها على اختلاف أجناسها وأشكالها .

أن نهاية كل هذه الكائنات الحية هو الموت ، وأن تفكك عناصر الحياة بالموت وأعادة توحيدها من جديد يوم البعث والنشور في يوم القيامة دليل آخر على الوحدة ، وعلى وحدة خالقها بفعل هذه الدائرة الحياتية بين الميلاد والممات والبعث .

ومقابل هذه الحياة الدنيا ، هناك حياة الآخرة ، وعند تأملنا لوصف الآيات القرآنية لنعيم الحياة الدنيا في سورة(الأنعام/99) ، ولنعيم الحياة الآخرة(في الجنة)في سورة(الرحمن/46).لوجدنا التقارب والوحدة بين عناصر الخلق بما يشير إلى وحدة عمل الخالق بين الحياتين ألا أن الفرق بينها هو أن الأولى فانية والثانية أبدية خالدة . وهذا ينطبق على عناصر القبح بين الحياتين أيضا.

هـ- وحدة خلق الإنسان:

تعرف البحث على ان الآنسان مخلوق من مادة واحدة وهي الطين ليبقى بحاجة إليها في حياته إلى يوم مماته . كما تبرز وحدة الإنسان بأنه قد خلق من نفس واحدة . كما تبرز وحدته الجمالية في الصورة والهيئة بما يدل على تناسق وانسجام أعضائه في الوظيفة والشكل وأن كل عضو منه يحتاج إلى الآخر ، وأن توزيع أعضائه على قامته المنتصبة والذي يعتليها الرأس بشكل متوازن ومتناظر أكسب جسم الإنسان جمالية خاصة من بين كل الكائنات .أن خلق الله(سبحانه وتعالى)لجسم الإنسان من طين(ماء وتراب)وهي مادة أرضية جامدة وتحويلها إلى مادة عضوية فيها الحياة ، فأن ذلك سيمثل الجانب المادي الحسي المنظور للإنسان ، وأن إدخال الروح في هذا الجسم سيمثل الجانب اللامادي واللامحسوس واللامنظور للإنسان . وتبرز الوحدة حينما يموت الإنسان حيث يدفن جسده في الارض فيتحلل إلى مادته العضوية الأصلية المأخوذة من أديمها ، بينما ترجع الروح الى باريها ، حيث كل شيء يرجع إلى من أنشأه أول مرة. وكشف البحث عن خلق الله(سبحانه وتعالى)للإنسان من مادة وروح ألا ليكون قادرا على أدراك الوجود المادي بقواه الحسية ، وأدراك الخالق بقواه الروحية والفعلية وبالتالي لميز بين الجمال النسبي المحدود للكائنات الحية ، وبين الجمال المطلق لخالقها(عز وجل) .

أن سمة الوحدة الجمالية والتي تميز بها الكون والطبيعة والحياة والإنسان هي نفسها قد تمثلت في جسم الإنسان وروحه . ولهذا أصبحت هذه السمة من المعايير الأساسية في عملية التذوق الفني والجمالي للكون والحياة والإنسان وللجمال المطلق لله (عز وجل).

ز- وحدة العقيدة :

تعرف البحث على مجموعة من مظاهر الجمال التي تبرز سمة الوحدة جماليا ، هو انطلاق العقيدة الإسلامية من مفهوم واحد هو توحيد الخالق(عز وجل) ، وأنها موجهة للناس كافة بشكل موحد وبدون تمييز وجعلهم أمة واحدة وأخوانا بالله . ومن المظاهر الأخرى هي وحدة الصف الإسلامي في كل الظروف، في الحرب والسلام وفي صلاة الجمعة ، وفي وحدة الاتجاه في صلاة الفرد والجماعة نحو قبلة واحدة . وعند أداء فريضة الحج تظهر الوحدة في توجه المسلمين بالحركة والاتجاه والمسيرة نحو مركز استقطاب واحد(الكعبة المشرفة)، وارتدائهم لملابس الإحرام البيضاء الموحدة ، والطواف بشكل دائري باتجاه موحد حول الكعبة.

ح- ويستنتج الباحث أن سمة الوحدة في القرآن الكريم تبرز من خلال مفهوم جمالي فلسفي واحد نابع من توحيد الخالق ووحدة ذاته التي تتصف بالكمال والجمال المطلق .

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. إبراهيم،زكريا: مشكلة الفن،مشكلات فلسفية(3)،دار مصر للطباعة،القاهرة،1976.
3. إبراهيم،زكريا: فلسفة الفن في الفكر المعاصر،دار مصر للطباعة،القاهرة،1966.
4. أبن الجوزي ، شمس الدين أبو عبد الله : الروح ، مطبعة الشرق الجديد ، بغداد ،.1985.
5. أبن سينا:تدابير المنازل أو السياسات الأهلية /تحقيق جعفر نقدي/بغداد/1929.
6. أبن سينا: الأضحوية في المعاد، تحقيق حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، بيروت1987.
7. أبن سينا: الشفاء الرياضيات،جوامع علم الموسيقى،تحقيق زكريا يوسف،القاهرة،1956 .
8. أبن سينا: الشفاء،الإلهيات،مراجعة إبراهيم مدكور،تحقيق سليمان دنيا،سعيد زايد،محمد يوسف موسى ، ج2 ، القاهرة ،1960.
9. أبن سينا: الإشارات والتنبيهات،تحقيق سليمان دنيا مع شرح نصر الدين الطوسي،ق4، ج4 ، ط2 القاهرة ، بدون تأريخ .
10. أبن سينا: كتاب المجموعة أو الحكمة العروضية في معاني كتاب ريطوريقيا، تحقيق محمد سليم سالم،القاهرة،بدون تأريخ .
11. أبن سينا: حي بن يقظان،تحقيق أحمد أمين، ط 3، القاهرة ، 1996 .
12. أبن سينا: الشفاء،الخطابة،تحقيق محمد سليم سالم،القاهرة، 1954 .
13. أبن سينا: رسالة الفعل والانفعال،الرسالة العرشية،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ط1 ، 1353هـ.
14. أبن سينا: الشعر(ضمن الفن التاسع من الجملة الأولى في كتاب الشفاء ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس،تحقيق عبد الرحمن بدوي،القاهرة،1953 .

15. أبن كثير،أبو الفداء عماد الدين بن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء،مكتبة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، 1986 .
16. أبن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب،ج4 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،بولاق، بدون تأريخ .
17. أبو حطب،فؤاد: لقدرات العقلية،مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 2 ، القاهرة ، 1978 .
18. أبو ريان،محمد علي: فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة ، دار الجامعات المصرية ، ط1، الإسكندرية، 1977 .
19. أخوان الصفا وخلان ألوفا: رسائل ،ج١،تصحيح خيري الدين الزركلي،أربعة أجزاء،القاهرة،1928.
20. أخوان الصفا وخلان ألوفا: رسائل، ج 3 / ج4 ،تصحيح خيري الدين الزركلي، أربعة أجزاء،القاهرة،1928 .
21. إسماعيل،عز الدين: الأسس الجمالية في النقد العربي،دار الفكر العربي،ط 2،1968.
22. آل ياسين،جعفر: الفارابي في حدود رسومه،ط1،بيروت،1405هـ_1980م.
23. آل ياسين ، جعفر: فلاسفة يونانيين من طاليس إلى سقراط ، منشورات عويدات، بيروت، 1975.
24. أمين،أحمد: ضحى الإسلام،ج3،دار الكتاب العربي،بيروت،ط1،بدون تأريخ .
25. برتليمي،جان: بحث في علم الجمال،ترجمة أنور عبد العزيز،دارالنهضة،القاهرة،1970
26. البسيوني،محمود: أسس التربية الفنية،دار المعارف في مصر،القاهرة،1972 .
27. البهنسي،عفيف: علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي(وسائل في الفن)،السلسلة الفنية 18، مديرية الثقافة العامة ، بغداد ،1972 .
28. التهانوي،محمد علي الفاروقي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1 ،تحقيق لطفي عبد البديع،المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،مطبعة السعادة،القاهرة،1963 .
29. التوحيدي،أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، ج1 ،منشورات المكتبة المصرية،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953 .
30. حيدر،نجم عبدالله: علم الجمال(آفاقه وتطوراته)،مطابع الجامعة،بغداد،1422هـ_2000م.
31. الحميري،رائد أحمد كمر: الرؤية الجمالية في الفلسفة الإسلامية(من الكندي إلى الغزالي)رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب/جامعة بغداد/بأشراف د.مجيد مخلف طراد الدليمي/1418هـ_1998م .
32. الحيلة،محمد محمود: التربية الفنية وأساليب تدريسها،دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان،1998.

33. خالص،أمل صلاح عبدالرحمن: العمل الفني التشكيلي بين التذوق الجمالي والنقد الفني(تحليل نماذج من الفن العراقي المعاصر،رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية الفنون الجميلة،1997 .
34. الرازي،فخرالدين: أسرار التنزيل وأنوار التأويل،تحقيق محمود أحمد محمد وآخرون،دار واسط،بغداد،1990 .
35. الراغب الأصفهاني،أبو القاسم حسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن،تحقيق محمد سيد الكيلاني،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،بدون تأريخ .
36. رشدان،أحمد حافظ وعبدالحليم،فتح الباب: التصميم،دار النهضة العربية،القاهرة،1976 .
37. ريشار،أندريه: النقد الجمالي،ترجمة هنري زغيب، ط 1،بيروت،1974 .
38. ريد، هربرت: معنى الفن، ترجمة سامي خشبه، دار الشؤون الثقافية والنشر العامة، ط4، بغداد 1986 .
39. ريد ، هربرت: حاضر الفن ، ترجمة سامي خشبه ، دار الشؤون الثقافية والنشر العامة، ط2 ،بغداد،1983 .
40. زياره،معن: الموسوعة الفلسفية العربية،معهد الإنماء العربي، ط١ ،1980 .
41. الزبيدي،جواد: دليل الفنانين التشكيليين العراقيين،نقابةالفنانين(المركزالعام)،بغداد،1987
42. الزنداني،عبدالمجيد: كتاب توحيد الخالق،منشورات مكتبة المثنى،بغداد،1990 .
43. الزيدي،كاصد ياسر: الطبيعة في القرآن الكريم،سلسلة دراسات(236)،دار الرشيد للنشر،بغداد،1980.
44. الشابندر،غالب حسن: الوجود في القرآن الكريم،دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1973 .
45. شعراوي،محمد متولي: معجزة القرآن،منشورات مكتبة بسام،الموصل،1984 .
46. صالح،عبد العزيز: التربية وطرق التدريس،دار المعارف في مصر،القاهرة،1982.
47. صليبا،جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية،ج1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982 .
48. طباره،عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي،مطبعة بيروت،ط 2،بيروت،1956.
49. عبد المعطي،علي: الإبداع الفني وتذوق الفنون الجميلة،دار المعارف،الإسكندرية،1985.
50. العزاوي،شاكر عبد الجبار: أسماء الله وعلاقتها بمخلوقاته،مطبعة منير، ط2، بغداد،1987.
51. عماره،محمد: رسالة التوحيد للإمام محمد عبده،السلسلة الإسلامية،مركز الحضارة العربية للأعلام والنشر، ط 3 ،القاهرة،بدون تأريخ .
52. العيثمين،محمد بن صالح: فتح رب البرية بتلخيص الحموية،دار الوطن،الرياض،1412هـ.
53. غريب،روز: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي،دار الملايين،بيروت،1952 .
54. الغزالي،أبو حامد: إحياء علوم الدين،مج4،ج14،دار الشعب،القاهرة،بدون تأريخ .

55. الغزالي،أبو حامد: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى،تحقيق فضيلة شحاذة،دار المشرق،بيروت،بدون تأريخ .
56. الغزالي: سر العالمين وكشف ما في الدارين، ط2 ،النجف،1965 .
57. الغزالي: مشكاة الأنوار،تحقيق أبو العلا عفيفي،القاهرة،1964 .
58. الغزالي: كتاب الأربعين في أصول الدين، ط2 ،بيروت،1979 .
59. الغزالي: كيمياء السعادة،تحقيق محمد عبدالعليم،القاهرة،بدون تأريخ .
60. الغزالي: مقاصد الفلاسفة،تحقيق سليمان دنيا، ط2 ،بدون تأريخ .
61. الغزالي: ميزان العمل،تحقيق سليمان دنيا، ط2 ،القاهرة،1964 .
62. الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة،تحقيق ألبير نصري نادر، ط 1 ،بيروت،1959 .
63. الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة،تحقيق ألبير نصري نادر، ط 3 ،بيروت،1973 .
64. الفارابي: فصول منتزعة،تحقيق فوزي متري النجار،بيروت،1968 .
65. الفارابي: السياسة والمدينة،تحقيق فوزي متري النجار، ط 1 ،بيروت،1964 .
66. الفارابي: التنبيه على سبيل السعادة،تحقيق جعفر آل ياسين،ط 1،ط 2،دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1985 .
67. الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير،تحقيق شرح غطاس عبدالله خشبه،مراجعة وتصدير محمد أحمد الحنفي، ط1 ،القاهرة،1967.
68. قتيبي،حامد صادق: المشاهد في القرآن الكريم،دراسة تحليلية وصفية،مكتبة المنار،الأردن،1984.
69. القضاة،أحمد علي: الشريعة الإسلامية والفنون(التصوير،الموسيقى،الغناء،التمثيل)،دار عمار،1988.
70. قطب،محمد: منهج الفن الإسلامي،دار القلم،القاهرة،بدون تأريخ .
71. الكندي: رسائل الكندي الفلسفية،تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة،القاهرة،ط 2،1968.
72. الكندي: رسائل الكندي الفلسفية،ج1،تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة،ط 1،1950 .
73. الكندي: رسائل الكندي في اللحون والنغم،تحقيق زكريا يوسف،بغداد،1965.
74. الكندي: رسالة دفع الأحزان،تحقيق زكريا يوسف،بغداد،1965 .
75. مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية،القاهرة،1979.
76. مرم، سومرسيت: تجربة في الآداب والحياة،ترجمة جعفر صادق الخليلي،منشورات عويدات، ط 1، 1975 .

77. مطر،أمير حلمي: مقدمة في علم الجمال،دار الثقافة والنشر والتوزيع،القاهرة،1976.

78. مطر،أميرة حلمي: فلسفة الجمال،دار الشؤون الثقافية العامة،القاهرة،بدون تأريخ .

79. مطر،أميرة حلمي: في فلسفة الجمال من أفلاطون إلى سارتر،دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة،1974 .

80. نخبة من أساتذة اللغة الإنكليزية والعربية: القاموس العصري الجديد(إنكليزي_عربي)، دار الفكر للجميع، ط 1 ،بيروت،1968.

81. هوبسمان،ثني: علم الجمال،ترجمة ظافر حسن، ط 2،بيروت،1975 .

82. هيغل: المدخل إلى علم الجمال،ترجمة جورج طرابيشي، ط 1 ،بيروت،1978 .

83. وهب،مراد: المعجم الفلسفي،دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،1998.

84. يونس،نضال: الأساليب الفنية في أعمال الرسومات العراقيات للفترة من 1950_1990 (دراسة تحليلية)،رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الفنون الجميلة_قسم الفنون التشكيلية،1998 .

المصادر الأجنبية :

85. Gotshalk.D.W" ،Art and the Social Order" ،Chicago.

86. Hornby،A.S، Gatenby، Ev، Wakefield، H" ،The Advanced Learners Dictionary of Current English" ،Second edition ،1965.